جحيم كارتر

رواية

نبيل عبدالرحمن

الطبعة الأولى

2020م ـ 1442هـ

ديوان العرب

للنشر و التوزيع

عنـــوان الكتاب: جحيم كارتر

اســـم المـؤلف: نبيل عبدالرحمن

التصنيف الأدبي: رواية

رقـم الإيـــداع: 22503 / 2020

الترقيـم الدولي: 7 - 33 - 6749 - 977 – 978

تـصميـم الغلاف: أ. منى الموجي **التدقيـق اللغوي: د. هبة ماردين**

التنسيق الداخلي: د. محمد وجيه **رقـــم الطبعـة: الطبعة الأولى**

المديـر العام: د. فادية محمد هندومة

دار ديوان العرب للنشر والتوزيع - مصر - بورسعيد

جوال: 00201211132879

البريد الإلكتروني: mohamedhamdy217217@gmail.com

حقـوق الطبـع والنشر لهذا المصنف محفوظة للمؤلف، ولا يجـوز بأي صورة إعادة النشـر الكلـي أو الجزئـي، أو نسـخه أو تصـويره أو ترجمتـه أو الاقتبـاس منـه، أو تحويله رقمياً وإتاحته عبر شبكة الإنترنت، إلا بإذن كتابي مسبق من المؤلف أو الناشر.

جحيم كارتر

رواية

نبيل عبد الرحمن

دار ديوان العرب للنشر والتوزيع

حقوق حلمك

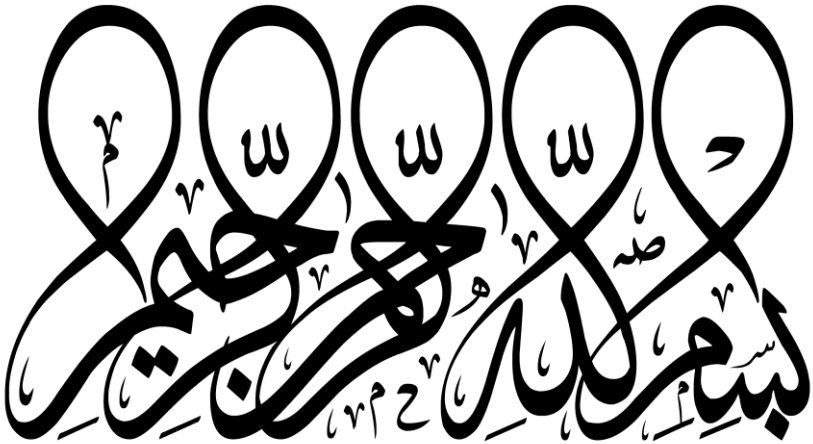
بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

أهدي روايتي إلى...

أشقائي وشقيقاتي وعلى رأس القائمة أم طلال و أم أحلام

أخي وصديقي الشاعر المبدع عيسى عزيز

الشاعر محمد عبد الرحيم

الشاعر والمطرب سيد خطاب

الشاعر علي خليل

الشاعر محمد أحمد (روبين ويليامز)

الشاعر جمال حساني

الشاعر عمرو موسى

وصديقي علي محسن

إهداء خاص ...

لمن كانت هي سر الحياة وكل الحياة والروح التي تسري بجسدي والدتي رحمها الله وإلى روح والدي

وإهداء إلى زوجتي شريكة الكفاح وإلى أبنائي فلذات كبدي وقرة عيني

وإهداء خاص جداً لكل أسرة دار ديوان العرب الكرام جميعاً

نبيل عبدالرحمن

****

تمهيد

إلى المتعطشة قلوبهم وأجسادهم لعناقٍ طويل يعتصر القلوب أملاً بانتزاع كل ما شابها من حزن وأوجاع، إلى كل من يفتقد العناق الحميم والربت والطبطبة والاطمئنان والهمس بتلك الكلمات التي تمنح أرواحهم الدفء والسكينة والسلام، وتذهب عنهم الأرق والاكتئاب. إلى كل من يحتاجون إلى من يخبرهم أنهم ليسوا وحدهم من يعانون الوحدة والخذلان بهذا العالم، إلى كل من ضاقت بهم الدنيا ولكم فكروا بالانتحار، أبعث إليكم عبير الأمل بتلك الرسالة الواردة إليكم من العالم الآخر.

جحيم كارتر

شتاء ٢٠١٩

في إحدى ليالي ديسمبر الباردة، حيث موجات الهواء الثائرة والبرد القارس في ليلة ظلماء وسماء متلبدة بالغيوم، يتجاوز سيارته الفارهة باهظة الثمن حديثة الصنع وأنيقة المظهر ذات اللون الأسود الخلاب، ويستقل دراجته المميزة التي يستخدمها الرياضيون والهواة في المسابقات الرياضية وذهب حاملاً معه كاميرا التصوير تلك الآلة الصغيرة التي صار أحد مجنونيها شغفاً وعشقاً لعمله بها وحالماً بأن يصبح أشهر مصور احترافي يجمع في الإجادة ما بين الفوتوغرافية والفيديو، رغم حصوله على بكالوريوس صحافة وإعلام إلا أنه لم يفكر في خوض تجربة الكتابة أو تحرير الموضوعات الصحفية بكل أنواعها، الإخبارية أو المجتمعية؛ فقد كان عاشقاً لترجمة الموضوعات حدثاً مصوراً صامتاً متيقناً أن غالباً ما يكون الصمت أبلغ وأعمق من لغة الكلام، وكان أيضاً رساماً محترفاً ذا أنامل ندية ثرية بإبداعها، كما كان عاشقاً ومحترفاً لمهنة التصوير، داهمته لوقت ما فكرة التطهير وهي عبارة عن البحث والتنقيب عن الأماكن المشبوهة التي ربما تكون عرضة لحدوث الجرائم أو تكررت بها الحوادث بالفعل ونشرَ صوراً عنها موضحاً أسباب خطورتها على حساباته عبر مواقع التواصل الاجتماعي العديدة، لعلّ تلك الصور تكون جواز سفره للشهرة

فذهب بتلك الليلة إلى مقابر إحدى المناطق الشعبية القريبة من حي كرموز والذي يقترب جداً من محل إقامته المتميز والحافل بالسكان الأثرياء بمنطقة سيدي جابر وكان يباغته حلم الشهرة والحصول على جوائز عالمية لذلك اختار المجازفة الدائمة وما بين تغطيته للقاءات الدبلوماسية برفقة أحد زملائه المحررين بتلك الجريدة الرسمية الشهيرة التي يعمل بها وبين مشروعه الخاص، ذلك الاستوديو الذي يحمل اسمه استوديو (تيام) للفوتوغرافيات وتغطية الأفراح والمناسبات، جمع ما بين الهواية والعمل ليصبح الأبرز في هذا المجال على الإطلاق وأما عن أحلامه فكان ساعياً دؤوباً من أجل تحقيقها، وهي الشهرة والثراء اللذان ربما يحصل عليهما إذا استطاع التقاط مجموعة نادرة من الصور المثيرة لقضايا كبيرة يمكن من خلالها إثارة الرأي العام والحصول على جوائز عالمية في مجال التصوير وها هو قد وصل إلى تلك المقابر التي ذاع صيتها كأكبر مسرح لوقوع الجرائم، خاصة بين فئة الشباب والمراهقين الذين اتخذوها وكراً لكل ما تسوله لهم أنفسهم من الخطايا والذنوب، أسند دراجته إلى إحدى المقابر وذهب يتحسس من وجود المراهقين، ولم تكن تلك المرة الأولى ولكنه كررها قبل ذلك مراراً إلى أن صادفته تلك الواقعة في ذلك اليوم الموعود فأخذ يسير بين المقابر بهدوء، كان الجو مظلماً ومخيفاً لكن لا بأس بالاستعانة بضوء الهاتف وقراءة بعض آيات القرآن للتحصن والاطمئنان، ثم أخذ يجوب أرجاء المقابر فلم يتحسس أصواتاً سوى صرير الريح المختلط

بخفيف الشجر اللذين كوّنا معاً صوتاً مرعباً حين اتحدا وخاصة وأنه يسير وحيداً بلا رفاق كانت دقات قلبه أشبه بأجراس ناقوس الخطر التي تبدو ثائرة بحدة فكر تيّام في العودة إلى حيث جاء تحاشياً لبشاعة صمت المقابر ورعبها وهيبتها، ولكنه حين أدار ظهره أحس ببعض الأصوات وما أن دقق الانصات إليها إلا وأدرك أنها لمجموعة من الشباب حديثي العمر تصدر عن مقربة منه، وقف يتدبر الأمر فتأكد من وجود الأصوات ومكان قدومها فتعمد إخفاء إضاءة هاتفه، وسار نحوهم سالكاً درباً صغيراً بين المقابر متشعباً من إحدى شوارعها العمومية، حتى وصل إليهم فوجدهم ثلاثة من الصبية الذين لم يتجاوزوا السبعة عشر عاماً، وجد منهما اثنين يحملان سلاحاً أبيض أحدهما يحمل خنجراً والآخر يحمل مطواة ويتبادلان الضربات على رفيقهما الثالث، لم يتبين تيّام ما بأيديهما لولا اتضاح الرؤية بخفوت بسبب أنوار هواتفهم المحمولة؛ فبدأ بتجهيز إعدادات هاتفه لتصوير ما يحدث حتى تحدث أحدهما لذلك المكلوم قائلاً:

-أين النقود التي سرقناها سوياً، انطق وإلا فصلت رأسك عن جسدك

فأسرع صديقه الآخر واقفاً خلف ذلك الشاب مقيداً إياه بيديه حتى يعجزه عن الحركة وعن الهروب أو الدفاع عن نفسه، ثم بدا يشد شعره بإحدى يديه حتى كاد ينتزعه، ثم وضع المطواة على رقبته باليد الأخرى قائلاً لصديقه:

-دعني أذبحه وننتهي من أمره للأبد، فلكم أعلمتك أنه خائن ولا يجدر به مشاركتنا ومعرفة أسرارنا، وها هو الآن يخبئ المال عنا في محاولة منه للنصب علينا، لكنني لن أدعه يتمتع به، ثم أردف قائلاً:

إننا هنا في المقابر ولن نتعثر في وضع خطة محكمة للتخلص منه، وحينها سنقذفه بإحدى المقابر وينتهي أمره للأبد.

يراقب تيّام ما يحدث عن كثب وما بين الحيرة والدهشة ماذا يجدر به أن يفعل لإيقاف تلك الجريمة قبل حدوثها فتارة يفكر بالذهاب إليهم وتارة أخرى يخشى اقتحام خلوتهم، كيلا ينهالون عليه طعناً بأسلحتهم خشية افتضاح أمرهم أو محاولته الإيقاع بهم، والإبلاغ عنهم أو ربما يظنون أنه شرطي وأنهم لا سبيل لهم سوى الخلاص منه، بدأ تيام يتابع حوارهم وهو يستند إلى إحدى المقابر القريبة منهم يراهم جيداً ولا يرونه يصورهم فهم من يوقدون أضواء هواتفهم أما هو فلا، وإذا بالشاب المعتدى عليه يقنع صديقيه قائلاً:

-حسناً دعاني أدخل تلك المقبرة مجدداً وأبحث عن النقود ربما لم أحسن البحث أول مرة، فنظر الشابان إلى بعضهما وأومأ أحدهما للآخر برأسه علامة الموافقة. فدخل الشاب مجدداً إلى المقبرة وهما يسلطان له الأضواء بداخلها لكي يجيد البحث، بدأ تيّام يتعجب من جرأة ذلك الشاب وحاول تجويد وتحسين التصوير بكاميرا الفيديو الخاصة بهاتفه، لكل ما يحدث وإذا به فجأة يستشعر صوتاً يأتي من خلفه فالتفت مسرعاً، فلم يرَ شيئاً

فعاود مراقبة الشبان واستكمال التصوير، وإذا به يشعر بحرارة وقشعريرة تنتاب بدنه، ويشعر كأنما هناك شيء يجذب شعر رأسه وكامل شعر جسده إلى الخلف فبرقت عيناه وشعر بالخطر، فنظر حوله بكل مكان فلم يرَ شيئاً، خرج الشاب من المقبرة ناظراً إلى صديقيه بخوف، مترقباً ما سيفعلانه معه فسألاه

-أين النقود، لماذا لم تحضرها؟

الشاب باكياً:

- لم أجدها، ربما عثر عليها أحدٌ بالمصادفة

وراح يقنعهم أنه ربما كان أحدهم يتبعه فور حادثة السرقة، حين طلب هو منها إخفاء المال بطريقته، حتى تهدأ الأمور وحينها يقوم باسترجاعه لتقسيمه بينهم لكي يستطيعون ثلاثتهم الحصول على مخدر الحشيش ونبات البانجو، وتلك الأشياء التي كانت دافعهم الأول للسرقة.

لم يصدقاه الشابان وانهالا عليه ضرباً لعلّه يعترف

في الوقت نفسه تزداد الحرارة و القشعريرة بجسد تيّام، ويشعر وكأنه يستمع إلى قرع عالٍ غير منتظمٍ من الطبول يقترب منه الصوت أكثر وأكثر، لكنه لم يرَ أحداً؛ فعاود التصوير، فوجد الشابين ينهالان ضرباً على صديقهما وقام أحدهما بثني ذراعه خلف ظهره والقبض على عنقه بيده ضاغطاً عليه بقوة، كي لا يستطيع الصراخ ويشهر الآخر مطواته ويدنيها من رقبة الشاب محاولاً ذبحه، فكانوا حقاً في حالة عدم اتزان ويتضح بشدة أنهم قد تناولوا

وجبة كافية من المخدر أذهبت عقلهم، حتى صاروا بهذا الشكل فيستمعون فجأة صوتاً صاخباً، كأنه تحطم أوانٍ فخارية بجوارهم فيفزعون جميعاً ويبحثون عن مصدر الصوت فلم يرَ أحد شيئاً، يتساءل الجميع من أين أتى ذلك الصوت؟! يتملك الخوف من تيّام الذي خشي أن يجدوه أثناء بحثهم وخاف أيضاً من كل ما يحدث، حتى إذا بالشابين يقولان لبعضهما مشيراً بأيديهما إلى ضحيتهما قائلين:

- ربما أعلم ذلك الوغد أحد بأمرنا وأتى به للتحايل علينا والاستيلاء على مالنا سوياً.

فنظر إليهما ذلك الشاب بخوف ورهبة شديدة وترقب لما سوف يفعلان به، وحين رأى نظرة الغيظ تملأ عينيهما، بكى قائلاً:

-والله ما أخبرت أحد لكنني خبأت المال هنا، في هذه المقبرة ولا أعلم كيف اختفى منها!!

فقام أحدهما بركله في بطنه، وانهال عليه الآخر ضرباً، فحاول الدفاع عن نفسه بمبادلتهما الضربات، فأصابت قبضة يده عين أحدهما فصاح من شدة الألم؛ فأشهرا سلاحيهما عليه واقتربا منه كلاً من زاوية عكس الآخر حتى اقتربا منه جداً، ورفعا أيديهما بالأسلحة محاولين إغمادها بجسده وإذا بصوت فرقعة يحدث وتشب نارٌ، ثم بدأت تلتف حولهم وتحاصرهم على هيئة دائرة فصعقوا جميعاً وفروا هاربين بينما حاول تيّام الهرب مثلهم ولكن جنونه وشغفه دعاه ليستكمل التصوير، فرّ الشبان الثلاثة خوفاً واستكمل

تيّام تصويرهم، وإذا بأصوات قرع الطبول تقترب أكثر حتى كادت تخترق أذنيه، وازدادت درجة الحرارة والقشعريرة بجسده أكثر فالتفت حوله يركض مسرعاً، ولكنه رأى شيئاً عجيباً، فقد رأى رغم الظلام دخاناً أبيض يتمثل في هيئة رجل ويتقدم نحوه مسرعاً، ينظر إليه تيّام فزِعاً ليتفاجأ بأنّ هذا الرجل لا يسري على قدمين، ولكنه يتقدم نحوه سيراً بلا خطوات وقدماه لا تطأ الأرض، لم يستطع تيّام الفرار منه فأخذ يمد يده للأمام وصاح صيحة واحدة، وإذا بذاك الشبح الدخاني يصفعه فوق رأسه بشدة حتى أفقده الوعي، وسقط مغشياً عليه بين المقابر.

بيت الأستاذ محمد النجار

تستيقظ الأم (تحية) على صرخة مريبة أدركت على الفور أنها من ابنتها رؤي فهرول جميع من في البيت نحو غرفتها فزعين لأجلها متسائلين ماذا أصابها أو ماذا حدث!!

كانت رؤى ذات الأربع وعشرين ربيعاً الابنة الوحيدة لوالديها، بينما كان لديها شقيقان من الذكور هما حسن الذي يصغرها بعام، وقد أنهى دراسته الجامعية مثلها ويقضى الخدمة العسكرية وكان بذلك اليوم يقضي عطلته الشهرية من الخدمة العسكرية، وحسين ذو السابعة عشر عاماً، والذي يدرس بالسنة الأخيرة بالثانوية العامة، فقد كانوا أبناء وأسرة الأستاذ محمد النجار مدرس اللغة العربية بالمرحلة الابتدائية، والسيدة تحية التي تعمل موظفة بالسجل المدني في أحد المراكز التابعة لمحافظة الإسكندرية الجميلة وكانوا يقيمون بنفس المكان بالقرب من عملهما، التف الجميع حول رؤى التي أسرعت والدتها تحتضنها فور صراخها واستيقاظها فزعة جالسة على سريرها، تُكبِّر الأم وتقرأ القرآن واضعةً يدها على جبين ابنتها، ويناولها الوالد مسرعاً كوباً من الماء محاولين تهدئة روعها، والاطمئنان عليها وبعد دقائق هدأت قليلاً وأجابت أسئلتهم عن ماذا أصابها قائلة:

-رأيتُ تابوتاً حديدياً على هيئة نعش يسري طائراً بين الناس، دون أن يحمله أو ينظر إليه أو يهتم لشأنه أحد، كان الجوّ مظلماً جداً وكأنّ ملاءة بيضاء شفافة تعتليه ورغم تأرجح أطرافها إلا أنها كانت ثابتة فوق التابوت. ينبعث من أسفلها الدخان يبدو التابوت طائراً بسرعة الريح، رغم أنّ الأمر عكس ذلك. أبدو الوحيدة التي تهتم لأمر ذلك التابوت، سرت خلفه شغفاً وفضولاً عن حقيقته وعن ما سيأوي إليه، فأخذ يشق الظلام والسكون حتى وصل إلى تلك المقابر القريبة من منزلنا، وهبط التابوت بين المقابر وأمام إحداها كان تابوتاً فضي اللون مرصعاً ببعض النقوش السوداء، بدت أوراق الشجر الجافة المتناثرة على الأرض تحته تتضح نوعاً ما بسبب لمعة طفيفة تنعكس عليها من هذا التابوت حين استقر فوقها، اقتربت أكثر رغم حالة الرعب التي تنتابني حتى وقفت أمام التابوت، وأمعنت النظر إليه وإذا بالملاءة تنكشف عنه فجأة، وكأنما انتزعت بفعل فاعل وبقوة وطرحت أرضاً ليبدو من أسفلها شخص نائم مكتوف اليدين والقدمين، وكأنما لحّدوه بثيابه. فاقتربت منه أكثر لكي أعرف من يكون. بدت ملامحه شاحبة ووجهه منطفئ لكنني أكاد أعرفه يبدو وكأنه هو، هل هو حقاً تيّام؟ هل هذا واقعاً أم أنني أحلم؟

اقتربت منه وحدقت النظر به أكثر، فإذا به يفتح عينيه فجأة لأراهما داميتين حمراوي اللون، جاحظتين بشكل مخيف. اهتزت روحي وملأ الرعب قلبي فطارت من عينيه شرارة، تجمع ما بين الوهج والحرارة اكتست بها

جميع أعضاء جسدي، صعقت من هول ما أرى وإذا بأيدٍ غريبة تضربني فوق مقدمة فخذي الأيسر بقوة؛ فشعرت كأنما قد تسمرت مكاني وأصبحت عاجزة عن الحركة، رحت أصرخ وأستغيث حتى سمعتم صراخي وأتيتموني لأعلم أنها مجرد أحلام، احتضنت الأم ابنتها وأخذت تتحسس درجة حرارتها ورعشة يديها ونظرت في الساعة لتعلم أنها الواحدة بعد منتصف الليل؛ فقررت أن تنام بجوارها لتطمئن عليها وتؤنسها حتى تمر تلك الليلة العصيبة لكن رؤى تجاهلت فزعها متحدثة عن أمر آخر. وهو الاطمئنان على تيّام خطيبها السابق وأنّ ذلك الكابوس ما هو إلا إنذار بأن أموره ليست على ما يرام. حاول الجميع طمأنتها وأخبروها أنه لا يتوجب عليهم إزعاجه في مثل هذا الوقت المتأخر، ولكن أعين رؤى ونظراتها أبت الاستسلام وفاضت بالدمع فشاهدوا حالها وإذا بها أيضاً تشتكي من ألم رهيب في مقدمة فخذها؛ فحاولت الأم فحصها للاطمئنان عليها فدلف رجال الأسرة خارجاً، وإذا بالسيدة تحية تصرخ حين وجدت آثار ضربة عنيفة أصابت جسد ابنتها، حتى ازرق لونها نتيجة تجلط الدم من شدة الصفعة فدخل الأبُ وابناه مسرعون، وإذا برؤى تتوارى خلف غطائها خجلاً، ولكن حالة من الهلع انتابت جميع أفراد العائلة. فعاودت رؤى الحديث مع والدها قائلة:

-إني خائفة على تيّام يا أبي وأشعر أن ما حدث معي هذه الليلة ما هو إلا إنذار بأنه ليس بخير، وربما يحتاج مساعدتنا فهو رغم حياة اللهو والبذخ

التي يحياها إلا أنه بائسٌ وحيدٌ وخصوصاً بعد تدهور علاقته بشقيقته الوحيدة تيا، وبعد قراري بإنهاء خطبتنا.

رغم غيرة الوالد على ابنته واستيائه نوعاً ما من أمر السؤال عن تيّام والاهتمام به، إلا أنه يظل الأستاذ محمد الرجل الفاضل المعلم ذا المبادئ والأخلاق الكريمة، فربت على كتف ابنته وداعبها قائلاً:

حسناً لنتصل به حالاً نطمئن عليه، فأنا والله أعتبره ابني مثل أخويك حسن وحسين، لكنني محرج بشأنه وخصوصاً أنك صاحبة قرار الانفصال عنه، وأنا قد اتخذت على نفسي عهداً أن أترككما وشأنكما فحسب، ثم أردف قائلاً:

لكن في مثل هذه المواقف لا بديل عن السؤال عنه والاطمئنان عليه.

ابتسمت رؤى وأخبرت والدها أنها لازالت تحتفظ برقم هاتفه، وكان والدها يعرف أنهما رغم قرار الفراق إلا أنهما لا زالا يعشقان بعضهما، لكنها الحياة التي أوحت إلى رؤى أن حياة تيّام لا تناسبها وأن هناك عوائق كثيرة قد تطيح بأحلامهما وعواطفهما، لذا قررت رؤى الابتعاد حفاظاً على شفافية العلاقة ودوام المودة، رغم تمسك تيام بها.

اتصلت به مرات عديدة لكنها لم تتلقَ منه رداً، حاولت الاتصال أكثر ربما كان نائماً ولكن مع تكرار الاتصال عشرات المرات بدأ القلق ينتاب قلوبهم جميعاً وساد عليهم اليأس والقلق!!

اقترح عليهم حسن الذهاب إلى بيت تيّام وكان قراراً غريباً في ذلك الوقت ولكنها الضرورة ولا سواها من حل آخر لديهم بهذا الوقت.

وافقوا جميعاً، وخرج حسن مسرعاً من منزلهم الصغير ذي الطابقين بحي كرموز الشعبي مستقلاً أول سيارة أجرة تذهب به إلى بيت تيّام، بمنطقة سيدي جابر الراقية، حيث كان يسكن تيّام في شقة كبيرة بإحدى أبراجها الشاهقة.

كانت الساعة قد تجاوزت الواحدة والنصف صباحاً، حين توجه حسن إلى مدخل المبنى، متوجهاً إلى ذلك الرجل الأسمر ستيني العمر والذي يدعى عم كامل البواب، كان يجلس أمام المبنى على أريكة قديمة عافها الزمن، وأخذ يتحدث إليه بعد السلام قائلاً:

-أود مقابلة الأستاذ تيّام لأمرٍ ضروري يا عم كامل، فهل هو موجود؟

أجابه عم كامل قائلاً

-لقد رأيته منذ ساعات يستقل دراجته الرياضية ولم ألحظ عودته حتى الآن، لكن عليك الصعود للتأكد ربما عاد ولم أرَه.

ثم أشار إليه نحو المصعد الكهربائي، الذي سيحمله إلى الدور الثالث، حيث شقة تيّام؛ فصعد إليه وأخذ يطرق الباب مراراً وتكراراً دون جدوى، فلم يجبه أحد فعاد إلى عم كامل وأخبره بعدم رد تيام وعن عدم رده على المكالمات الهاتفية أيضاً، وأنه يجب عليه اقتحام الشقة وكسر بابها ربما أصاب تيام أذى ولا يعلم عنه أحد شيئاً، رفض عم كامل ذلك القرار ببادئ

الأمر وقال لحسن أنه ربما غلبه النعاس عند أحد أصدقائه أو ربما ألغى صوت الهاتف، لكنه من الخطأ اقتحام البيت بهذا الأسلوب لمجرد تأخير لم يدم طويلاً، ولكن مع إصرار حسن ونظراته الحائرة عن ماذا سيفعل وحين أبطأ خطواته وبدأ العودة من حيث جاء باغته صوت عم كامل الذي قلق هو الآخر من أجل تيام قائلاً:

-لقد ترك معي الأستاذ تيام نسخة احتياطية من مفتاح شقته لأقوم بترتيبها أحياناً وخاصة أنه وكما تعلم أنت، أنه لا زال وحيداً أعزب.

هرول حسن نحو عم كامل مسرعاً وداعبه قائلاً:

-فليحيا عم كامل الشهم الشجاع.

واصطحبه، وصعدا سوياً وفتح عم كامل الشقة وبحث عن تيام جيداً لكنه لم يجده!!

عاد حسن إلى بيته وأخبرهم عما حدث لتبكي رؤى قائلة:

-أين ذهب إذاً؟ بالكاد لقد أصابه مكروه، ثم أردفت قائلة: ربما تصالح مع شقيقته تيا وذهب إليها، أو ربما كانت متعبة وذهب لزيارتها واتصلت بتيا على الفور آملة بأن تطمئن عليهما سوياً، وتسعد معهما إن كانا قد تصالحا وأنهيا فترة الخصام التي طالت كثيراً، فسألتها قائلة:

-كيف حالك يا تيا؟ وددتُ الاطمئنان على تيّام فأنا قد اتصلت به كثيراً، ولم أتلقَ منه أية ردود!!

قابلت تيا سؤالها باستهزاءٍ قائلة:

-أي تيّام هذا الذي تسألينني عنه وبأي صفة؟!

صدمت رؤى من ردها، فهي بالكاد تعرف كل شيء عن خلافهما لكنها ظنت أن تقابل تيا سؤالها بالود والترحاب رغم كل شيء، احتراماً لعلاقة الأخوّة مع تيام واحتراماً وتقديراً لوجود شخص رؤى بينهما،

ثم أتبعت تيا جفاءً ردها قائلة:

-أعلم أن الحبّ يعلي من قدر أصحابه المتوهمين أن هناك شيئاً يسمى حبّاً، ولكن عن ملاحقة فتاة في الساعة الثانية صباحاً لشاب كان خطيبها ولم يعد، فإنها والله لمهانة ومذلة.

ثم صمتت لحظات منتظرة رد رؤى التي لم تتفوه بكلمة واحدة، استياء مما سمعت فأردفت تيا قائلة:

-أود عدم الإزعاج في مثل هذه الأوقات المتأخرة مرة أخرى، من أجل مراهقين مثلكما وقامت بإغلاق الهاتف في وجه رؤى.

شعرت رؤى بالحزن والاستياء، ولكنها قررت أن تستكمل البحث عن تيام وقامت بفتح برامج التواصل الاجتماعي عبر الإنترنت لتراسله من خلالها، وإن لم تجده فستقوم بوضع منشور على حائط صفحة الفيس بوك الخاصة به منشور تسأله أين يكون هو الآن أو من يعرف عنه شيئاً، فليطمئنها عليه لتفاجأ أثناء ذلك عبر خاصية معرفة باسم نطاق الأصدقاء القريبين أنه على مقربة من بيتها، يبعد عنهم حوالي اثنين كيلو متراً فقط، فأسرعت وأعلمت الأسرة بذلك الأمر، واجتمعوا يفكرون أين يمكن أن يكون وما

هي المناطق القريبة هكذا، وأثناء المشاورات ذكر أحدهم منطقة المقابر التي صاحبت حلم رؤى المزعج بهذه الليلة، فرقرق قلب رؤى عشقاً وخوفاً على تيام، وأخذت تفكر أنه بالتأكيد هناك وأن الحلم رسالة والصفعة رسالة واقتراب المسافة نفسها دليل، كانت دقات الساعة حينها تعلن الثانية والنصف تقريباً فقرر الوالد والابنان الذهاب إلى تلك المقابر والبحث عنه.

تيا

أما عن تيا فبعد أن أنهت محادثتها مع رؤى بنجاح من وجهة نظرها، وما أن تأكدت أنه لا رفيق ولا مؤنس لها سوى وحدتها، فقد بدأت ترتجف أطرافها وتقبض على هاتفها بقوة كي لا يسقط أرضا من بين أناملها وبدأ ينتفض جسدها حسرة وحزنا، جلست مكانها أرضا مستندة بظهرها على ذلك الحائط وثنت ركبتيها، ثم رفعت رأسها إلى أعلى قليلاً شموخاً واستعلاء حتى هزمها الخذلان وباغتتها دموع الحسرة، فاستسلمت لأحزانها بانكسار والتفت بذراعيها حول رأسها التي أسندتها على ركبتيها وبدأت تتذكر كل ما حدث....

كلية الفنون الجميلة جامعة الإسكندرية 2002م

يقف حسان الطالب بعامه الأخير بالجامعة منتظراً نتيجة الاختبارات لكل منهم، فتقبل نحوه تيا مبتسمة، طار بها فرحاً وكاد يحتضنها أمام الجميع لولا أنها رمقته بنظرات حانية معناها فلتهدأ ولتعلم أني أيضاً أود معانقتك ولكن يجب علينا مراعاة ظرفي الزمان والمكان، حتى إذا اقتربت منه كادت عيناها تدمع فرحاً ثم أخبرته قائلة:

-ألف مبارك علينا يا حبيبي فلقد اكتمل حلمنا بالتخرج والنجاح

نظر إليها بسعادة طفل حصل على هدية أحبها ثم أردف قائلاً:

-بارك الله لي فيك يا حبيبة قلبي، ولكن ماذا عن التقدير

أدارت وجهها قليلاً باستحياء، فمد يده وأمسك بعظمة ذقنها الدقيقة ولفتها

إليه ثم نظر في عينيها قائلاً:

-أعلم أنك أكثر مني تفوقاً ونبوغاً، وربما حصلت على تقدير أفضل مني، ولكن لتعلمي يا حبيبتي أنّ نجاحك هو نجاحي وأنني دائماً أفرح لأجلك أكثر من فرحي لنفسي.

ثم أتبع كلامه بنظرة أجمل قائلاً:

-هيا أخبريني ماذا عن التقدير... فأجابت:

-أما عن تقديري فهو امتياز مع مرتبة الشرف، وأما عنك فأنت أيضاً من المتفوقين يا حسان

فنظر إليها بهدوء قائلاً وأما عني فأحمد الله على درجة مقبول

سارعت تيا قائلة:

-سنضع امتيازي على قبولك ونقتسم الناتج الإجمالي، وماذا نحن سوى كيان واحد يا حبيبي

ليقتطع حوارهما الهادئ صديقهما الحميم مدين ويفزع فيهم مازحاً:

-ألف مبارك عليكما يا باش مهندسين.

سعادة عارمة تغمر ثلاثتهم ثم سأله حسان عن أمره ليخبرهم مدين الذي كان معهم بنفس عام التخرج ولكنه كان يدرس الآداب، فيلاحقهما بخفة ظل قائلاً:

-منذ متى تركتكما أيها العاشقان حتى أترككما في النجاح، لقد نجحنا جميعاً فيبتهجون جميعاً، ثم يتبادلون التهنئة ليقتطع تلك المراسم الروتينية رغم جمالها مدين قائلاً:

-هيّا حالاً نذهب إلى شاطئ البحر لنحتفل بالنجاح.

كان البحر ملتقاهم الثابت فمزح مدين قائلاً:

-هيّا لأعزمكما على آيس كريم في جليم لأصنع لكما بهجة بعذوبة صوت عمرو دياب، وجمال شاطئ جليم وسحر البحر الأبيض المتوسط، وروعة نجاحنا العظيم.

تعالت ضحكاتهم العذبة النابعة من القلب فرحين بالنجاح بعد قسوة أعوام التركيز والانكباب على المذاكرة، وحضور المحاضرات وشعروا أنهم لأول مرة يحصدون ثمار جهدهم الدؤوب وكان مفتاح السر الدائم للبهجة لديهم صديقهم الصدوق مدين، الذي كان الرفيق الدائم لحسان كخيال الظل.

ذهبوا جميعاً للشاطئ القريب من جامعتهم في جليم

فاجأهم مدين بإعداده لوجبة المأكولات البحرية التي يعشقونها، معدة مع كامل السلطات والمشروبات الغازية، وكانت الطاولة ممتلئة تعتليها مظلة قماشية ملونة وبجوارها ثلاثةُ كراسي بنفس عددهم، تعجبا جداً ثم سألا مدين: كيف أعددت كل هذا وقد كنت برفقتنا؟؟

فأجابهما بسخرية قائلاً:

-يبدو أنكما لا تدركان قيمة مدين، ثم أردف قائلاً: هذا أقل شيء عندي، ركض نحوه حسان صديقه الأسمر، حسن الوجه ذو الشعر المفلفل والجسم الرياضي طويل القامة قوي البنية مفتول العضلات، وقبض رأس مدين بين ذراعيه ممازحاً، ثم ضغط عليها عكساً لكي يوقعه أرضاً قائلاً:

-إما أن تخبرني كيف أعددت كل هذا وإلا طرحتك أرضاً، ليضحك عليك جميع الموجودين.

صرخ مدين الذي غلبه الضحك وتغير صوته من أثر الحركة، وكاد يسقط أرضاً لولا أنّ حسان محكم عليه بقبضته وبضمته جيداً، ثم قال مدين:

-ستدافع عني تيا

فتذهب تيا نحو المائدة مبتسمة وقائلة لهما:

- لكما مزاحكما ولي الطعام.

وهرولت نحو الطاولة وأخذت تأكل واقفة حتى دون الجلوس على المقعد فيضحك الصديقان ويسرعان نحوها قائلين:

-هيّا نلحق نصيبنا قبل أن تلتهمه تلك المجنونة، وتناولوا الوجبة، ثم أخبرهم مدين أن أحد أبناء عمومته يعمل بالشاطئ، وأعد له تلك التحية احتفالاً بنجاحه وسأله عن عدد الأصدقاء الذين يود ضيافتهم للاحتفال سوياً لكي يحضر الطعام الكافي، فأخبره أنه لم يخرج من الحياة سوى بصديقه حسان وحبيبته وزوجته المستقبلية تيا

قالت تيا مبتسمة:

-لا تخبر حسان عن ابن عمك يا مدين يكفينا صديقاً واحداً من عائلتكم وهو أنت، يقضي معك نصف وقته ويعيرك كل اهتمامه فلو تعرف على ابن عمك واشتدت الصداقة، فسأفتقد ما تبقى لي من حسان بالتأكيد،

ضحك مدين قائلاً:

-ومن لي في تلك الحياة سواكما يا تيا، فأنت تعلمين أني يتيم، فأنا ابن لأب صعيدي من محافظة قنا، وأم تعرف عليها حين جاء للعمل هنا في الإسكندرية؛ فقد كانت إحدى بنات بحري الجميلات، أحبها وتزوجها رغم أنها تصغره بحوالي عشرين عاماً، وكان هو متزوج من ابنة عمه ولديه منها

ثلاثة أبناء، عاش أبي ما بين الإسكندرية والصعيد قرابة خمسة أعوام متصالحاً مع نفسه ومع زوجتيه، حتى توفيت والدتي وأنا في الثالثة من عمري، وأخذني أبي لأعيش معه في الصعيد، ورغم شهامة زوجة أبي التي كانت بمثابة عمتي، فبغض النظر عن كل شيء، فأنا ابن لابن عمها إلا أنها لم تستطِع منحي الحنان والاهتمام الكافيين؛ فكانت تميز أبناءها دائماً، بينما ورثت أنا جزءاً من عداوتها، لأنني ابن المرأة التي استقطبت زوجها وأحبها أكثر منها من وجهة نظرها، توفي أبي ليلحق بأمي وأنا في الصف الثاني الإعدادي، وتركني لزوجته وإخوتي الأكبر الذين اعتبروني دخيلاً عليهم، وكان شغلهم الشاغل كيفية حرماني من نصيبي في إرث أبي وجئت هنا لأستكمل حياتي مع هذا الرجل الذي عملت معه بنفس عمله البسيط، تحدينا صعوبات وعثرات الحياة سوياً، إنه جدي بائع الفريسكا، والذي ما كان ليسمح لأمي أن تتزوج رجلاً كبيراً، ولديه أسرة لولا شدة الفقر والاحتياج، فأصبحت بعد وفاة أبي وأمي وحيداً، رغم وجود ثلاثة أشقاء وأعمام وعمات، ولكن اختصرت الناس كلهم في حسان وجدي .

التف حسان وتيا حول مدين الذي بدأ وجهه شاحباً، وبدأت بهجته بالانكسار حيال ذلك الاسترسال وما تذكر من أدق تفاصيل حياته المؤلمة، وربتا على كتفيه، ثم قاطعه حسان قائلاً:

-انسَ كل ذلك يا مدين وتذكر فقط فرحتنا بنجاحنا، فأنت اليوم قد حققت أول أحلامك وبمشيئة الله القادم أفضل.

خجل مدين من نظراتهما الحانية إليه، فبدأ يثرثر ويمزح ويرقص على أنغام الموسيقى والأغاني، التي كانت تصلهم من خلال ذلك المقهى الصغير الخاص بالشاطئ ونسي الثلاثة وجودهم بين الناس، فأخرجت تيا من حقيبة يدها ساعة يد رقمية أنيقة جداً سوداء اللون وقالت:

-كنت واثقة من نجاحنا ولذلك أحضرت إليك هديتي يا حسان،

وحين مدت يدها بالهدية إليه، وجدته يختلس النظرات لعينيها الساحرتين مبتهجاً وسعيداً بكل صنيعها، وحين أدركت نظراته الشغوفة إليها ابتسمت برقة، ثم اقتطعت الموقف بحياء قائلة:

ولم أنسَ مدين؛ فقد أحضرت له قلماً أنيقاً ذهبي اللون، ليتذكر معنا دائماً ذلك اليوم.

فاختطفه مدين من يدها بسرعة البرق وتبسم بسخرية قائلاً:

-لقد غلبتنا تيا بكرمها المعتاد

فنظر إليها حسان قائلاً:

-لقد قبلت هديتك يا تيا وآن الأوان لأهبك هديتي أيضاً، وأتمنى أن تسعدي بها.

نظرت إليه تيا بخجل قائلة:

-مجرد وجودك هو أكبر هدية حصلت عليها طوال حياتي يا حسان.

يتابع الجميع من حولهم المشهد مبتسمين بصمت واقترب بعض الأطفال منهم يتابعون ما يحدث عن قرب فرحين بما يشهدون، حتى وضع حسان يده في جيب بنطاله، وأخذ يبحث عن شيءٍ، ثم توقف فجأة قائلاً:

-يبدو أنني نسيت هديتك بالبيت يا تيا فهل تسامحينني؟؟

قالت له:

-وهل يوجد بقلبي شيء نحوك سوى الحب والتسامح يا حسان!! فهل تتكرم علي وتسامحني أنت؟!

-على ماذا أسامحك يا حبيبتي؟

-على تقصيري معك، فلقد كانت حياتي بوجودك جنة، فقد كنت أنت الزميل والمعلم والصديق والناصح والحبيب، أما أنا فكنت دائماً ما أعكر صفو حياتك باهتمامي الزائد وغيرتي الشديدة و.....

وضع حسان يده على فمها قائلاً:

-دعنا من هذا الحديث الآن حتى ترين هديتي التي أخبرتك، مزحاً أني نسيتها ولكنني والله ما نسيتها لأنها أعظم وأجمل كل أحلامي

لحظات من الصمت، نظرات الشغف من تيا ومدين والمجاورين لهم تلاحقه، وإذا به فجأة يتقدم نحوها ويقترب أكثر ثم يجلس على ركبتيه أمامها، ثم يمسك يدها ويقبلها

فنظرت نحو الناس بخجل ووضعت يدها الأخرى على فمها وحاولت سحب يدها من بين يديه فأمسك بها بقوة فقالت له:

-الناس ترانا يا مجنون،

فضحك، ثم نهض واقفاً وقال بصوت عالٍ:

-أيها الرفاق الذين لا أعرف عنكم سوى أنكم شهود عيان عليّ في تلك اللحظة.

نظرت إليه تيا باندهاش قائلة:

-ماذا تريد أن تقول يا مجنون؟!!

فقال بصوت عالٍ مبتهج:

-سأقول كل شيء حتى يشهد الناس والبحر كلامي ويشاركونني فرحتي أني أحبك يا تيا ولا أستطيع الحياة دونك.

حاولت تيا الفرار لكنه أحكم قبضته على يديها قائلاً:

-والآن إليك هديتي أمام الجميع، التفَ الناس حولهم أكثر وأكثر وتابعوا حديثهم عن قرب بضحكات جميلة، وإذا بحسان يخرج من جيبه علبة حمراء صغيرة، أثارت فضول الجميع لمعرفة ما بداخلها، حتى إذا ما أزاح الغطاء عنها وأخرج ما بداخلها بدأ مدين والناس بالصراخ وإطلاق صفارات الفرح والتهليل، فقد أخرج حسان منها دبلتين للخطوبة إحداهما ذهبية والأخرى فضية وما بين تلك اللحظات وضجيج الناس نظر إليهم حسان فشاهد فرحتهم وشعر بها فأسرع وحمل تيا بين يديه وأخذ يستدير بها، فبدأ الجميع بإعلاء أصواتهم بالمباركات والتصفيق، لم تجد تيا مهرباً من جنون حسان إلا بمحاكاته فألقت برأسها فوق صدره واحتضنته برفق

وتركته يستدير بها مبتهجاً وشاركته بهجته، بما تحمل بداخلها من عشق لحسان يجعلها طائرة بين يديه كالعصفور متناسية، خلف بهجتها وضعها الأنثوي المحتشم، مكتسية بحرية الطير وبراءة الأطفال في مهد البراءة.

عصفت موجات الهواء الباردة بإحدى نوافذ بيت تيا لتفتح فجأة، وتصطدم في الحائط بشدة فينكسر زجاجها محدثاً صوتاً مزعجاً مهولاً؛ فيقشعر بدن تيا وتستفيق من شرودها وتذهب لإحكام غلق تلك النافذة ولكنها تستشعر الوحدة وتبكي ظلماتها فيخطر ببالها شقيقها تيّام وما قالته رؤى عن أمر اختفائه.

تيّام

يستفيق تيّام من نومه المزعوم والذي ما كان إلا عبارة عن حالة إغماء ولا يدري نفسه أنه قد مر بها، بدأ يمد يده ليوقد المصباح، فإذا بملمس الحائط خشن جداً فنهض جالساً ليجد نفسه حبيساً في مكان غريب، حالك الظلام شديد البرودة، لا يرى شيئاً، ولكن يبدو شبه قبو صغير تتضح حدوده من خلال ضوء خارجي خافت لا يُرى إلا بصعوبة، فبدأ تيّام يمد يده نحو القبو ليجده فتحة تمثل باباً في تلك الغرفة شديدة الضيق التي تحسس أركانها بيديه باحثاً عن مخرج، ثم بدأ يستعيد وعيه ليدرك أنه في المقابر، ويتذكر ما حدث ليثب بسرعة البرق عبر القبو مغادراً تلك المقبرة، وراح يضم أضلاعه بيديه من شدة البرد، وما أن بدأ ينظر كيف يتجه فوجد نفس الرجل الدخاني الذي أتاه وصفعه، يقف أمامه على بعد ثلاثة أمتار تقريباً، وعاد يستشعر نفس أعراض الدفء والقشعريرة وصوت الطبول؛ فأدرك أنه نفس الكيان الذي واجهه سابقاً، اتسعت عينا تيّام وواجه الأمر بذهول، حيث وجد ذلك الرجل يقترب متراً دون خطوٍ، ثم الثاني ثم قطع الثلاثة أمتار، ليقف أمام تيّام مباشرة.

رؤى

جلست على سريرها بجوار والدتها خائفة، مودعة لوالدها وشقيقيها الذين ذهبوا إلى المقابر بحثاً عن تيّام، وما بين دفء الحنين ولوعة الحسرة واجهت نظرات والدتها بحياء فسألتها قائلة:

-ما دمت تحبين تيّام هكذا لماذا قررت الانفصال عنه؟

فعادت رؤى بذاكرتها شهوراً، حتى ذلك اللقاء الأخير بينهما في إحدى حدائق المنتزه ذات الأشجار العالية العتيقة والورود المبهجة، وكانت رؤى رغم روحها الشعبية وصوتها العالي، إلا أنها تعشق الهدوء وتقدس جمال الطبيعة وجنونها، وكانت حدائق المنتزه هي ملتقاهم وملاذهم الثابت للبهجة والحياة، كانت تجلس معه وطلب لها عصير الليمون الذي تعشقه بينما قام هو باحتساء فنجاناً من القهوة الفرنسية التي يعشقها، بجانب تدخين بعض السجائر، قالت له رؤى باستحياء:

-ما بين القهوة والسجائر تفقد شهيتك للطعام يا تيّام.

سألها:

- وهل تخافين عليّ إلى هذا الحد يا حبيبتي؟!

كانت تضع يدها على المنضدة، ممسكة بحقيبة يد صغيرة فيها بعض مستلزماتها.

نظر إليها تيام بإعجاب كعادته، فرؤى كانت فتاة خصبة متوسطة الطول مقبولة الوجه، مثيرة، ليس بجمالها فحسب، ولكن بخفة ظلها ورسمة قوامها وبساطة تفاصيلها

اكتسبت بشرتها درجة فاتحة من لون القمح حتى ترى خديها مزيجاً من تلك الدرجة مع حمرة الورد ورقته، أما عن شعرها الغجري الكثيف الذي كان يصل نهاية ظهرها فكان ينم عن أنوثة طاغية لتلك الفتاة المرحة، ذات أرداف بارزة نوعاً ما كنجمات الإغراء العالميات، كان يشعر معها تيّام بالاستقرار والبهجة و الوناسة، فهي فتاة ذكية قادرة على الاحتواء، محبة تجيد الحفاظ على علاقتها بحبيبها، ملتزمة دينياً وترتدي الملابس الفضفاضة مع الحجاب الشرعي الذي لا يظهر سوى وجهها، شرد عقل تيّام تائهاً في جمال ملامحها وشخصيتها الجذابة، فاحتضن يديها بين يديه، فانتزعت يديها بحياء، ثم نهضت واقفة وقالت له:

-هيّا نشاهد الزهور والأشجار التي عشقناها سوياً وتعودنا عليها وتعودت علينا أيضاً، وننقش على ثناياها ذكرياتنا الجميلة

فوقف أمامها قائلاً:

-لو أن تلك الأشجار تستطيع أن تنطق لأخبرت العالم عن قصة حبنا وأسرارنا ولحظاتنا معها.

...أحبك يا رؤى

وحين نطق بتلك الكلمات، إذا بتلك الإنسانة التي تدعي الصلابة وكأنما صارت طفلة بين يديه، ونظرت إليه، إلى تيّام ذلك الشاب الطويل الوسيم أبيض البشرة وإلى شعره الطويل الأصفر، حتى إذا ما سقطت عيناها على عينيه الزرقاوين، حتى غرقت في بحر سحرهما وشرد بالها ليسألها:

-أين ذهبت يا رؤى وفيما تفكرين؟؟

كانا يجوبان الحديقة بهدوء فردت عليه قائلة:

-لقد سرحت في حوارنا الدائم يا تيّام، والذي أخشى أن يفتك بحبنا وطموحنا يوماً ما.

أخذا يستكملان سيرهما ثم قالت له:

-لن أتخلى عن حجابي يا تيّام ولا عن ملابسي الفضفاضة

ثم أردفت قائلة:

-وهذا والله ليس عصيانًا لك، ولكنها طبيعتي وتربيتي، فأنا والله لا أستطيع تغيير مبادئ تربيت عليها طوال حياتي، نشأت ووجدت والدتي هكذا، وهي أيضاً تربية أبي لي، وبث أفكاره دائماً في عقلي وعقيدتي التي أؤمن أنها على صواب جداً

نظر تيّام أرضاً، ثم سألها:

-لماذا لا تقدرين أحلامي وطموحاتي يا رؤى؟

ردت بهدوء:

-وهل حجابي يعوّق طموحك يا تيّام؟

-تيّام: للمرة الألف أخبرك يا رؤى أن شريكة حياتي يجب أن تشبهني، تكون امرأة عصرية متفتحة، رمزاً للجمال والأناقة، سيدة مجتمع بالمعنى الحرفي لتلك الكلمة، قادرة على الظهور في الحفلات الفنية والمناسبات، تقف بجانب المشاهير الذين أصبحت أنا واحداً منهم، أتشرف بالظهور إلى جانبها في الزيارات والمناسبات الرسمية وعلى أغلفة المجلات وصفحات الجرائد.

تقاطع رؤى كلامه قائلة:

-وهل زواجك من فتاة محجبة يكسر طموحك ويحطم أحلامك إلى هذا الحد؟

بدأت دموعها تسيل على خديها ونظرت إليه، ثم قالت له:

-إنّ حلم الشهرة والعالمية هذا يقلقني يا تيّام، إنّها حياة لا تشبهني، ولا أنا أحلم بها.

وبعد صمت لحظات واصلت حوارها قائلة:

-لن أكون العائق في طريق تحقيق أحلامك مجدداً يا تيّام، فأنا إنسانة بسيطة أعشق طعم البيوت والاستقرار، أود إنجاب أطفال وتربيتهم في ريعان شبابي، لا يشغلني العالم الخارجي بشيء، لا أراه ولا أهتم به.

رد عليها قائلاً:

-وما السبيل إذاً؟ وكيف التخلص من ذلك القيد الخانق بطوق العادات والتقاليد، متى نطمح ونلهو ونعبث ونفرح بشبابنا يا رؤى؟ ونفعل أموراً

كثيرة ونعد أنفسنا أننا بالمستقبل سنتجنبها واهبين ما تبقى من عمرنا لعبادة الله قانعين بما صنعناه من أمجاد في ريعان شبابنا؟؟

كفكفت رؤى دموعها واستجمعت قواها، ثم قالت له:

-لا أحد يحصل على كل شيء في هذه الحياة يا تيام، فكمال الأحوال وتمام الأمور مجرد طموح لم يبلغه أحد، وأنا نفسي أعلم هذا جيداً وأعرف كيف السبيل إلى النجاة.

قال لها:

-إذاً أخبريني، كيف السبيل وماذا سنفعل؟

استدارت نحوه وعادت لإسقاط عينيها على عينيه، وصمتت لحظات وهو ينتظر مقترحاتها، وإذا بها فجأة تمد يدها وتسحب يده برفق ليستجيب لها مبتسماً فتشبك أناملها الناعمات بين أنامله وتمسك يده بدفء وحنان، ثم ترفع كفه نحو وجهها مترددة، ثم فجأة تغمض عينيها وتلامس خدها بكفه وكأنها تود النعاس محتضنة أنامله كالعصفور مودعة آلامها وأحلامها بين يديه، وبعد ثوان فتحت عينيها ونظرت إليه وقبلت يده، ثم رفعت يدها الأخرى فتلقاها بيده وحين حاول أن يمسك يدها وجدها قد وضعت بيده شيئاً، ثم سحبت يديها بهدوء فنظر ماذا تركت، ليتفاجأ أنها انتزعت خاتم توثيق ارتباطهما من خنصر يمناها، وانتزعت معه كل ما تبقى من وعود بالبقاء إلا ذلك الميثاق الكامن بفؤادها والذي تود وأده وعدم الافصاح عنه لأسبابها الخاصة.

قطعت بسمة تيام، وتاه في بحر من الذهول والفزع وكلما حاول أن يسألها ماذا فعل، كلما أحس بطعنة الغدر وقد شقت فؤاده نصفين، لم يستطع التحدث بلسانه ولكنّ عينيه روت كل حكايات الحلم والجرح في آنٍ واحد، استدارت رؤى، وبدأت بالسير مودعة تيّام فناداها قائلاً:

-ولمن تتركيني يا حبيبتي، عودي وسأتنازل عن كل أحلامي وأكتفي بك وحدك يا كل العمر

استدارت نحوه قائلة:

-عِشْ حياتك بسلام مع من تشبه حياتها حياتك، أما أنا فلن أتنازل عن حجابي ولا عباءتي، ولن أنتزع ثوب العفة عن كاحلي ولن أكون سيدة المجتمع التي تناسب حياتك الصاخبة المليئة بالأضواء يا تيّام.

وأتمَّتْ كلامها قائلة: وأما عنك فسأكتفي بالاطمئنان عليك من بعيد وقلبي وعقلي راضيان عنك.

فأجابها باكياً:

-وكيف تطمئنين على قتيلك وأنت من أفقدته بفراقك الحياة، الموتى يحتاجون الدعاء بالرحمة، وليس الاطمئنان وغيابك عني هو الموت الذي أقسمت يوماً أنه لن يفرقنا سواه يا رؤى.

-رؤى: لا تقل ذلك، فالحياة لا تحلو إلا بالطموحين أمثالك، ولكن النصيب غلاب و.....

اقتطع صراخه كلامها قائلاً:

-يكفي أنني أحبك يا رؤى

قالت له بحياء وبصوت خفيض يهزم حدة المواجهة:

-وهل تحب تيا شقيقتك، والتي لم يتبقَّ من عائلتك سواها أم لا؟

ورغم انسياب لسانه بالرد قائلاً: نعم وما أحببت أحداً بعد والديّ وازداد حبي له أكثر بعد وفاتهما كما أحببتها، وصمت فجأة وكأنه يقرأ أفكار رؤى وأحاديثها التي لمحت بها دون الإفصاح عنها، وهي أن من فشل في احتواء شقيقته الوحيدة والحفاظ عليها رغم حبه لها لا يؤتمن على أية فتاة مهما كان تحت أي مسمى ارتباط كان أو زواج.

سيلٌ من الدموع يتساقط من عينيه، ولكن رؤى أكملت حديثها كي تؤكد له صحة أفكارها، وأردفت قائلة:

-ومنذ متى كان الحب كافياً؟ لا تدعنا نقع ضحايا انجراف مشاعرنا مهما كانت جميلة، عِشْ حياتك مع من تناسبك واطمئن من ناحيتي فسأكون بخير، الوداع يا تيام.

في المقابر

يرتجف تيام من الخوف وشدة البرد وهول الموقف ويقف أمام ذلك الكيان الغريب الذي اقترب منه قائلاً:

-لا تخف يا تيّام فأنا ما جئت إلا لحمايتك، مثلما أنقذت ذلك الفتى من القتل المؤكد على يد صاحبيه.

يود تيّام التحدث ولكنه لا يقوى، وفجأة يفصح لسانه قائلاً: (الله لا إله إلا هو الحي القيوم) ويبدأ باستكمال آية الكرسي، ويستكمل بعدها العديد من الآيات؛ فلم يجد الشبح يحترق مثلما كان يسمع أن القرآن الكريم يذهب الجنّ والشياطين.

وحاول الفرار هرباً، ولكن من شدة الخوف شعر أنّ قدميه لا تحملانه ولن يستطيع الركض، ففر عدة خطوات يستند على المقابر وينظر خلفه فوجد ذلك الكيان يلازمه فسقط أرضاً مغشياً عليه للمرة الثانية.

أمام المقابر وقف الأستاذ محمد مع ولديه حسن وحسين مشعلين أضواء هواتفهم ويرتبون خطة للبحث عن تيام فقال الوالد:

-سأذهب أنا بهذا الاتجاه وأبحث عنه واذهبا أنتما بهذا الاتجاه سوياً.

وطلب منهما توخي الحذر والهدوء وعدم الخوف فقال أحدهما:

-لكنك بمفردك واخترت الاتجاه الأخطر يا أبي، بينما نحن سوياً يجب علينا تبادل الأماكن.

-اذهبا فحسب وانتبها لبعضكما وهيّا نستثمر الوقت ونبدأ.

قالها الأستاذ محمد وسار في الاتجاه المعاكس لأضواء المدينة، ورغم ضعف نظره وارتدائه للنظارة الطبية، إلا أنه كان يخشى على ولديه؛ فاختار المجازفة وترك الولدين في الاتجاه الآمن نوعاً ما، وبدؤوا جميعاً بالبحث

تعثر الوالد أثناء سيره ببعض طوب البناء فسقط أرضاً، وجرحت ساقه وسقطت نظارته، فأصبح لا يرى أمامه، فنهض واقفاً بسرعة البرق خشية أن يمسه الجنّ، وأخذ يتحسس الأرض بقدمه واقفاً ليعثر على النظارة ويستكمل البحث، ولكنه يخاف أن ينحني أرضاً فأصبح لا يرى الأشياء بوضوح.

يسير حسين مستأنساً بشقيقه الأكبر حسن، مطمئناً لوجوده معه يجوبان دروب المقابر حتى سمعا أصواتاً فاهتز حسين مرتعباً، حتى كاد أن يصرخ فأمسك شقيقه بيده فاندفع حسين قائلاً:

- من هؤلاء وماذا يفعلون؟

- فوضع حسن يده على فم أخيه قائلاً:

-لا ترفع صوتك كيلا يسمعوننا حتى نعرف من هم وماذا يفعلون!!

-واقتربا منهم مستترين خلف إحدى المقابر، ونظرا إليهم ليجدا مجموعة من الشباب لم يتجاوزوا العشرين عاماً، وقد أشعلوا الحطب والخشب

ليستخدموه كفحم في تدخين التبغ المزود بالحشيش، وقد أحضروا الشيشة والسجائر وقوارير مشروب البيرة وجلسوا يتحاورون، كانت ملامح الشباب مخيفة وكأنهم بلا أهل يسألون عنهم، أو عنوان أو أنهم غادروا أهاليهم تائهين في عثرات دروب الحياة باحثين عن ملذاتهم غير ملتزمين بأية قيود دينية أو مجتمعية.

سحب حسن شقيقه من يده وذهبا بعيداً وأخبره أن وجود الشبان يدل على عدم وجود تيّام بالقرب منهم، لأنهم دائماً يقومون بتأمين وكرهم أولاً، ثم يتابعون أهواءهم بأمان، ذهب الشقيقان بعيداً يعبران درباً آخر، فأحسا بصوتٍ قادمٍ من الأمام؛ فاقتربا مسلطين أضواء هواتفهم مراقبين المكان بحرص وحذر حتى اقتربا من مجموعة مقابر، ربما بنيت حديثاً أبوابها لم تغلق بعد، وفجأة صدر صوت من إحداها يبدو وكأنه صراخ طفلة صغيرة صرخ حسين والتصق بجسد أخيه خائفاً، وأغمض عينيه فضمه أخوه بقوة وعنفه قائلاً:

-يجب عليك أن تكون رجلاً، وأن تعلم أن الخوف ليس من شيمة الرجال، وأننا هنا بين المقابر توجد كائنات شريرة يمكن أن تسكن جسدك وتتحكم بك وتضرك، ومدخلها لكل هذا هو الخوف فقط، ثم ربت على كتفه ليطمئن واستجمع حسن قواه واقترب من المقبرة التي يخرج منها الصوت، وحين سلّط ضوء كشاف هاتفه داخلها قفز في وجهه بسرعة

الريح كائن صغير، ارتعش جسد حسن واختل توازنه وأحس بقدوم الخطر إليه ولم يخف على نفسه بقدر خوفه على أخيه الذي لم يقترب مثله من فوهة المقبرة والنظر بداخلها، ودون أن يدري واجه ذلك الكائن بضربة قوية فوق رأسه أسقطته أمامهما أرضاً؛ فوجداه ثعلباً صغيراً، بعد لحظات من الخوف والقلق هدأ حسن قليلاً، ثم حاول النظر داخل المقبرة مرة أخرى ليرى من أين أتى صوت صراخ الطفلة، تشبث به حسين كيلا ينظر داخل المقبرة ربما وجد بداخلها ثعالب أخرى أو ثعباناً كبيراً أو نحوه، لكن حسن أصر أن يعرف الأمر ويطمئن، وحين نظر داخل المقبرة أدرك أن الثعلب كان يفترس أرنباً كبيراً، وأن ذلك الصراخ الشبه آدمي ما هو إلا صراخ الأرنب.

رن هاتف حسن فوجد والده المتصل يخبرهم أنه أصيب بساقه وفقد نظارته وأصبح لا يرى غير مجرد خيالات، لا يستطيع تمييزها ولكن الأخطر أنه يسمع أصواتاً غريبة، فحاول حسن تهدئة روعه وطمأنته واصطحب أخاه مسرعاً متجهين نحو أبيهما فسأله حسن قائلاً:

-صف مكانك بالضبط يا أبي؟ هل تسير بنفس الاتجاه الذي اتفقنا عليه؟ وهل أنت قريب من بداية الطريق أم أنك ابتعدت كثيراً؟

-فرد قائلاً: لقد ابتعدت كثيراً، فقد سرت من درب لآخر و.... آاااااااه

صرخة مدوية من الوالد انقطع بعدها الاتصال، وأخذ حسن ينادي أباه فلم يتلقَ منه إجابة، ثم تذكر المكان والزمان والشبان الموجودين هناك وفزع

أخوه، فالتزم الصمت واحتضن أخاه لكي يتناسى كل ذلك ويستطيع مواصلة الرحلة بأمان، خاصة وأن حسين كان مرتجفاً من شدة الخوف، فالتزما الصمت وراحا يبحثان عن والدهما

فزع الأستاذ محمد من هول ما رأى، فلقد رأى كلباً أسودَ استطاع أن يراه وأن يميز لونه، رغم ضعف بصره وحلكة الظلام وشدة سواد لون الكلب، لكنه استشعر وجوده وانتبه إليه من خلال دفء مباغت بجسده وحرارة هبت بالجو رغم البرد القارس، ومن ركود الكلب نحوه والأغرب من ذلك أن من كان يطارد الكلب كان عبارة عن طائر ضخم يبدو وكأنه حمامة من سلالة نادرة وفريدة، تحلق بجناحيها ناصعيّ البياض كثيفين وطوال الريش حمراء المنقار مطوقة العنق كبيرة الحجم بشكل ملفت متضحة الملامح والتفاصيل، وبشدة غلبت ضعف بصره ظلت تطارد الكلب حتى وثب وثبته الأخيرة قبل الوصول إلى الأستاذ محمد ببضع خطوات، وكان واضح جداً أن الكلب متوجه نحوه قاصداً إيذائه وكاد أن يهجم عليه ولكنه فجأة رغم اتضاح مقصده ونواياه وثب داخل الأرض، وكأنما أختبأ بحفرة فيها ومن الواضح أنه لولا ذلك الطائر الأبيض لانقض الكلب علي الأستاذ محمد، وهذا ما جعله يصرخ، الطائر واقف على فرع شجرة صغيرة مزروعة أمام إحدى المقابر، لم يعلم الأستاذ محمد كيف كان يستطيع الرؤية في وجود ذلك الطائر ذو الرائحة العطرة الفواحة التي لم يجد لها من قبل مثيلاً، فحاول استيعاب ما يحدث و اقترب من تلك الحفرة، حيث وثب الكلب ونظر

للأرض فلم يرَ شيئاً تعجب جداً، ثم وقف فوق نفس المكان الذي دلف داخله الكلب، كاد يجن مما رأى متسائلاً، أين الحفرة وأين الكلب؟ ولكن وجود الطائر الأبيض طمأنه قليلاً، ويكفي أنه أصبح يرى جيداً في ظل وجوده، فلملم نظارته وهاتفه من الأرض وحاول العودة لملاقاة ولديه، ورغم كل هذا الخوف إلا أنه راح يراقب ذلك الطائر بذهول؛ فأخذ الطائر يصنع حركات بهلوانية مرحة لجذب انتباه الأستاذ محمد وإثارة فضوله أكثر، وهذا ما حدث بالفعل وبدأ يتنقل من مكان إلى مكان ومن شجرة إلى أخرى وسار الأستاذ محمد خلفه متتبعاً إياه، وفجأة سطعت الأنوار في عينيّ الأستاذ محمد؛ فصحا من غفوته فوجد شابان يهرولان نحوه فارتجف وحاول الفرار هارباً إلا أنهما لحقا به مسرعين وسمع مناداتهم عليه قائلين: أبي، فتوقف مكانه، فاقتربا منه وسألاه

-كيف أتيت إلينا بكل تلك السرعة يا أبي؟؟

فرد عليهما قائلاً:

-لست أنا من قدمت ولكنه ذلك الطائر الملائكي الذي كان يتنقل أمامي برفق وكأنه يداعبني فسرت خلفه لأعرف حقيقته فوجدتكما تناديان، فسألاه:

-أين ذلك الطير يا أبي؟ فأخذ يشير إليهما تجاهه فلم يروا شيئاً.

فنظرا نحو والدهما مستنكرين حديثه قائلين:

-ليس موجوداً، يبدو أنك واهم يا أبي.

أخذ يضرب كفاً على كفٍ قائلاً:

-أعلم أنكما لن تصدقاني، ولكنه كان يتبعني أو كنت أتبعه أنا حتى وصلت إلى هنا.

فردد الولدان:

-حمداً لله على سلامتك يا أبي.

فسألهم كم الساعة؟ وكان الوقت قبل آذان الفجر بحوالي ساعة

اتفقوا جميعاً على البحث عن تيّام سوياً، وعدم التفرقة للأمان ومغادرة المقابر في أقرب وقت

ساروا سوياً فوجدوا دراجة سباق وأدركوا أنها دراجة تيّام، فهم يعرفون أن لديه واحدة وبالتأكيد أنها هذه، وقبل أن يسلكوا الدرب المقابل لها سمعوا صوتَ خطواتٍ؛ فصمتوا بترقبٍ، وإذا بإنسان قادم نحوهم يسير بهدوء شديد، فزعوا جميعاً وأخذوا يتساءلون، تُرى من القادم؟! حتى أقبل عليهم فوجدوه تيّام استطاعوا التيقن من ذلك حين سلطوا عليه أضواء هواتفهم، فرحوا بعودته وهرولوا إليه، وأخذوا يحدثونه قائلين: حمداً لله على سلامتك، فوجدوه يمر من بينهم لا يبالي بأمرهم، ويكمل سيره وكأنه لا يراهم، كان منظره مخيفاً جداً، كان ثائر الشعر مغبر الوجه والملابس، مرتعش الجسد وبشدة، محدقاً بعينيه الحمراوين حتى حين سلطوا الأضواء عليها ليتأكدوا منه لم ينفعل، ولم يستمع إلى كلامهم ولم ينظر إليهم وكأنه جسد بلا روح، صُدموا جميعاً مما رأوا، وأخذوا يتبادلون النظرات سائلين ماذا به!!

فاقترب منه حسن وحاول الإمساك به وبمجرد أن لمسه وجده اهتز، وكأنما أصابه ماساً كهربائياً، ثم سقط أرضاً غائباً عن الوعي، حاولوا إفاقته ثم طلب الوالد من حسن أن يعود للطريق العام، يستغيث الناس ويطلب المساعدة ويأتي بأي سيارة يحملون بها تيام إلى منزلهم بينما أسنداه الوالد وحسين، فوضع كل منهما ذراع تيام على كتفه، وأسندوه وخرجوا به إلى الطريق وبعد دقائق معدودة عاد إليهم حسن برفقة رجل غريب الزي والملامح يقود سيارة سوداء مموجة الشكل غريبة التفاصيل، تبدو تاريخية عتيقة منذ عقود مضت، تُفتح أبوابها من الأمام بالعكس بطريقة تختلف عن كل السيارات الحديثة، تعجب الجميع منها ومن غرابة سائقها الشاب الذي برغم وسامته إلا أنهم استشعروا قشعريرة بالبدن ورهبة حين نظروا إليه، ولكن لا وقت لديهم للتفكير ودلفوا داخل السيارة جميعاً ولم يتفوه السائق بكلمة واحدة، ولكنه كان يستجيب لتوجيهاتهم للمسير دون أن يسأل سؤالاً واحداً، وكأنه يعرف الطريق!! جلس حسين بجانب السائق وبالمقعد الخلفي جلس حسن ووالده بجانبي تيّام وجعلوه بالمنتصف بينهم، حتى وصلوا أمام البيت، هبطوا وأسند الولدان تيّام، وعاد الوالد ليعطي السائق أجره فوجده قد غادرهم مسرعاً، ولم ينتظر منهم شيئاً، سأل الوالد حسن أين وجد ذلك الرجل الغريب، وبكل تلك السرعة فأجابه أنه كان يمر بالطريق صدفة من أمام المقابر، فأشار إليه وحين فوجئ بكل تلك الغرابة ورغم خوفه منه ببادئ الأمر إلا أنه لم يتردد في طلب المساعدة

منه، فقد كان كل هدفه سرعة العودة لمساعدة تيام، وبلغوا مبتغاهم حقاً بالوصول إلى البيت، وبدأ حسين يطرق الباب ومع أول طرقة وجد رؤى فتحت الباب مسرعة، وكأنها كانت تقف خلفه، ثم نظرت إلى حسين وأخذت تبتلع ريقها منتظرة أن يطمئنها، فأخبرها أن تفسح الطريق هي ووالدتهم التي كانت تجلس برفقة ابنتها منتظرتين عودتهم، ابتعدت رؤى قليلاً وظلت تراقبهم لتطمئن عليهم بينما هرعت الأم إلى الباب، ففزعت واحتد صوتها وكلامها كالصراخ حين رأت حالة تيّام التي لا يُرثى لها، وسألتهم: ماذا حدث؟ فطلب منها زوجها أن تفتح باب غرفة ولديهما وترتب سرير أحدهما ليرتاح تيام أولاً، ثم يخبرونها لاحقاً بكل شيء.

كانت رؤى تراقب كل شيء بصمت، ودلفت خلفهم بهدوء ونظراتها لا تبرح تيام، وقفت بعيداً تراقبه فنظر إليها والدها مشفقاً عليها رؤوفاً بحالها وحال تيام، ثم أشار إليها قائلاً:

- تعالي اطمئني عليه بنفسك ولا حرج عليك.

اقتربت منه رؤى ونظرت إليه، كانت تود أن تبكي من سوء حالته فقد كان مرتعش الجسد أحمر العينين شاحب الوجه فاقد القدرة على التركيز، أحضرت الأم كوباً من الماء وحاول حسن أن يسقيه فلم ينظر إليه تيام، فأخذ والده الكوب منه، وأخذ يسقيه بنفسه؛ فارتشف بضع رشفات وبدأت المياه تتساقط بعدها على ثيابه، فأزاح الوالد الكوب عنه، جلست رؤى حسيرة على الأرض بزاوية الغرفة، وراحت تراقبه وحين أحست والدتها أنها

ربما تضعف وتجهش بالبكاء سحبتها من يدها وذهبت بها إلى غرفتها وجلست بجانبها على سريرها، صمتتا لحظات وكانت رؤى تنظر أرضاً لأنها لا تستطيع مواجهة عيون والدتها بنظراتها التي تحمل ألف سؤال، بينما كانت الأم تنظر إليها بحدة نوعاً ما، معترضة على بعض تصرفاتها ومشاعرها ولكن بالنهاية تبقى الأم أماً، هي القلب الحنون والصدر الرحب والسر والأمان لابنتها، فتبدلت قسوة نظرتها إلى شفقة وربتت على كتف ابنتها، وخاطبتها قائلة:

-لماذا تحملين نفسك مسؤوليته يا رؤى؟ وماذا تنوين تجاهه؟ وكيف استطعت الانفصال عنه رغم كل هذا الحبّ؟؟

ردت رؤى بصراحة لم تنتظرها والدتها قائلة:

-لأنني المسؤولة عنه حقاً يا أمي، تيام لا يعرف في حياته سوى عمله وطموحه وعشقه لي، ولو أنه كان يود الحفاظ على حياته من أجلي لما خاطر بها هكذا، ولكنه وبسبب أنانيتي وضعفي فقد شغفه بالأشياء، فقد شغفه بالحب وبالحياة، ثم أردفت قائلة:

ولا أنكر أنني لا زلت أحبه كحبه لي، أو أكثر وما كان قراري بالبعد إلا اختباراً لحقيقة مشاعرنا وإرادتنا.

لقد تركت تيام وأنا أعلم أنه لي وأنا أيضاً لا أريد سواه، ولكن الحقيقة أنني أخطأت يا أمي، فعندما تركته وحيداً ما كان منه إلا أن حلمه بالشهرة

والوصول للعالمية تضاعف أضعافاً كثيرة، ليخبرني أنني أخطأت يوم رحلت عنه وتركته وحيداً.

صمتت رؤى ونهضت واقفة سألتها الأم:

-أين تذهبين؟

-رؤى: إنه آذان الفجر يا أمي سأقوم للصلاة، ولأدعو الله أن يجيرني في مصيبتي ويحفظ لي تيام، وقبل ذهابها للوضوء ذهبت نحو غرفة شقيقيها لتطمئن على تيام، فوجدت والدها وحسن يخرجان ويغلقان الباب برفق، فسألتهما عنه، فقالا: لقد غرق في النوم على سرير حسن، بينما نعس حسين على سريره وأكمل الوالد كلامه بأنه وحسن ذاهبان للصلاة بالمسجد، وسوف يصطحبا معهما حين العودة صديقه الشيخ عبد الحميد، إمام ومؤذن المسجد القريب منهم والمعالج بالقرآن.

أثناء صلاة الفجر بالمسجد وكانت رؤى قد أنهت صلاتها بالبيت وذهبت تصنع فنجاناً من القهوة، وما بين الحنين والذكريات تواري دموعها، حملت قهوتها واتجهت نحو باب المطبخ، وإذا بصرخة مدوية تأتي من غرفة شقيقيها فطاحت القهوة من بين يديها وتحطم الفنجان وهرولت مسرعة نحو تيام دلفت والدتها خلفها تتبعها داخل الغرفة فوجدتا تيام بدأ يستفيق من حالة الصمت والتيه التي انتابته وبدأ يعي لما ولمن حوله، صحا حسين مفزوعاً من نومه الذي لم يستغرق نصف الساعة فوجد والدته ورؤى بجوار تيام يسألانه ماذا أصابه؟

فأجابهما قائلاً: أنه رأى شبحاً، وأنه كاد أن يموت ويتعجب أيضاً كيف أتى إلى هذا البيت، وماذا أصابه!! وبعد دقائق عاد الوالد وابنه وبرفقتهما الشيخ عبد الحميد، وعندما حضروا راحت رؤى تعد لهم مشروباً ساخناً، دخلت المطبخ وبدأت في إعداد المشروبات، ولكن كل ما يشغل بالها كان تيام فنسيت لملمة حطام ذلك الكوب الذي سقط من بين يديها منذ عدة دقائق، ذهبت الأم لمساعدتها، وعندما اقتحمت عليها المطبخ فزعت مما رأت وصرخت فيها بصوت خفيض كيلا يسمعونها فتزيد التوتر والقلق لديهم فقد جرحت أقدام رؤى ونزفت كثيراً دون إدراك منها حتى تلطخت الأرض بدمائها كلوحة تجريدية مرسومة باحتراف فأقعدتها الأم وأحضرت مسحوق البن وضمدت به الجرح وقامت بإسعافها وأمرتها بالعودة لغرفتها لكن رؤى عادت لغرفة شقيقيها، ووجدت الشيخ عبد الحميد يقرأ أجزاء معينة من القرآن علي تيام، وتارة يضع يده علي رأس تيام وتارة أخرى يذهب يده ويكمل القراءة؛ فجلست بجوارهم على سرير حسين، الذي فر من الغرفة هارباً خوفاً من ما يحدث لتيام، وبعد وقت طويل من القراءة وبعض الحوارات مع تيام قال لهم الشيخ:

-من العجيب أنه بعد كل ما تعرض له لم يصبه مس، ولم يتخبطه الجن بالأذى، وأخبرهم أن هناك آيات معينة تجعل المصاب بالمس ينتفض وتبدو عليه العلامات، بل وتجعل الجن نفسه يتحدث مع الناس، ويفصح

بمعلومات عن نفسه لكن كل ذلك لم يحدث، فنظر الوالد إلى تيام مبتسماً وقائلاً:

-حمداً لله على سلامتك، لقد نجاك الله من أذى كبير، وما هي إلا ساعات وتستعيد عافيتك واتزانك، وغادر الشيخ المنزل على أمل العودة لاحقاً للاطمئنان على تيام ومساعدته إن لزم الأمر، وبعد خروجه أمر الوالد رؤى بإعداد وجبة فطور خفيفة وكوباً من العصير لتيام الذي لم يتناول طعاماً منذ الأمس.

رفض تيّام وقال أنه لن يستطيع تناول الطعام لأنه فاقد الرغبة والشهية، وأن كل ما يحتاجه هو فنجاناً من القهوة فقط، رفض الوالد ولكن تيّام أخبره أن القهوة فقط القادرة على ضبط اتزانه وإعادة تركيزه، فوافق الوالد وقامت الأم لتصنع القهوة؛ فقفزت رؤى تطلب منها الجلوس وستصنعها هي، رفضت الأم ولكنها وجدت رؤى دلفت مسرعة داخل المطبخ بسعادة وهمة ونشاط فجلست الأم مبتسمة متعجبة من حال ابنتها، وعادت رؤى بالقهوة وطلبت منه أن يخبرهم ماذا حدث بالتفصيل، فقال لها:

-سأخبركم بكل شيء شريطة أن أعرف كيف أتيت إلى هنا.

وأخذوا يتحاورون جميعاً حتى عرفوا كل شيء، ولم يصدق تيام أنه ربما سكنت تلك الروح جسده بعض الوقت وخرجت به إليهم حين كانوا يبحثون عنه بالمقابر وكيف أنها غادرت جسده بأمان بعد كل هذا

استقرت حالة تيام وكانت الساعة العاشرة صباحاً، ولم يذهب الوالد ولا الوالدة عملهم بذلك اليوم واعتبروه ظرفاً طارئاً يستوجب العطلة، شعر تيام بينهم بالمودة وروح وكيان الأهل ودفء المشاعر بينهم والاستقرار والسكينة، وعرف أنها تلك الحياة التي تبحث عنها رؤى وأنها محقة فازداد حبه لها وتمسكه بها أكثر، وخجل من سذاجته وسطحيته في إدراكه مبتغاها، وفشله في التعايش مع تلك الإنسانة العظيمة وأهلها وكم كان صغير القدر والمقام بعينيها وهو ليس قادراً على احتواء شقيقته الوحيدة تيا والحفاظ عليها.

حاول التشبث بالأشياء للنهوض من مرقده ومحاولة الوقوف على قدميه ومغادرة بيت تلك الأسرة العظيمة التي وقفت إلى جواره، وراح يتحجج بأنّ لديه الكثير من الأعمال، ويجب أن يذهب لتنفيذها فلاحقته رؤى قائلة:

-لقد أعددتُ لك الحمام لتأخذ حماماً دافئاً تستفيق وتستعيد نشاطك.

-قال لها: لا ينبغي أن أتسبب في إزعاجكم أكثر من ذلك، لقد استعدت عافيتي بحمد الله وحان وقت الرحيل.

غضبت رؤى وقالت:

-لن ترحل قبل أن نطمئن عليك، وقبل أن تتناول معنا وجبة الغداء وبعدها سوف يذهب معك أبي لأقرب طبيب لزيادة الاطمئنان.

فضحك من أفعالها وردد قائلاً:

-وما الداعي للطبيب ما دام الشيخ طمئننا أنني بخير.

-فردت قائلة: للاطمئنان، ثم إن للعلاج بالقرآن قواعد، وقد تمت بوجود الشيخ، أما درجة الحرارة وقياس الضغط فتلك أمور صحية تحتاج إلى الطب البشري ويجب علينا احترام ذلك أيضاً.

-فرد الوالد قائلاً: لن تذهب قبل صلاة الظهر وتناول الغداء، لأنني منذ الصباح وقد دعيت الشيخ عبد الحميد للطعام معنا، وليطمئن عليك ويتابع حالتك ويجب علينا احترام قدومه وانتظاره.

فلم يجد تيام من الجلوس لديهم مهرباً، فاستسلم وقامت رؤى بإعداد أشهى أنواع الطعام، رغم بساطة التكلفة ولكن بإجادتها للطهي وحسن تقديمها له وحسن تدبيرها في صنع أنواع كثيرة معظمها من مقادير ثابتة بأي بيت دائماً،

وبعد صلاة العصر غادر تيام تلك الأسرة التي تعشق طعم الحياة، وتصنع ببساطتها معاني كثيرة جيدة لها.

أخبرهم أنه ذاهب ليستقل سيارته ويباشر أعماله، وعندما عاد إلى مسكنه بالفعل ذهب للكراج ليأتي بالسيارة، فشعر بتنميل في جسده وهبوط، فصعد إلى بيته، فتح الباب ودلف بهدوء قاصداً غرفة نومه، كان بيته بيتاً أسطورياً رغم كونه عبارة عن شقة في إحدى أدوار ذلك المبنى الضخم، إلا أنها كانت كبيرة جداً تزيد عن مئتي متر، مدخلها عبارة عن استقبال كبير حوالي مائة متر، يأخذ شكلاً مربعاً يفترشه بأرقى وأجمل أنواع الأثاث

المكون من المقاعد المصنعة من الزان المزخرف والمنقوشة بألوان متدرجة، تتناسب مع لون الحوائط التي نقشت باحترافية عالية بطريقة هادئة دون زيادة التلاعب بالألوان، حتى الأقمشة المصنعة بالمقاعد أخذت لوناً زاهياً نوعاً ما، ليتناسب مع لون السجاد الذي يتناغم أيضاً مع لون الحوائط والأرضيات، الذي يكسي أجزاءً بسيطة معينة منها فتعطي كل تلك التفاصيل إبهاراً ورقيّاً غير متناهيين وبمنتصف الاستقبال تجد عموداً خرسانياً كبيراً، قام بتغليفه بأبهى وأجمل الديكورات حتى أصبح تحفة فنية، وفي نهاية الاستقبال تجد حاجزاً زجاجياً بجواره فتحة معبر، ثم حائط طويل،كانت تلك الفتحة معبراً للجزء الخلفي من شقة تيام، والذي كان عبارة عن ذلك المطبخ المفتوح ذو الحاجز الزجاجي الصغير والذي يطل على الاستقبال، وفي نهايته جزء معزول بحواط ونوافذ كبيرة، تطل على الشارع كان يستخدم ذلك الجزء لصنع المشويات والأطعمة التي تفرز الدخان والروائح النفاذة، أما باقي المطبخ من الخارج فكان أنيقاً جداً ممتلئاً بالأجهزة الكهربائية والكماليات، وخلف ذلك المطبخ كانت توجد الحمامات فكانا حمامان وأمامهما مغسلتان أنيقتان للوجه وكان هناك معبر طولي، ما بين الناحية التي تضم المطبخ والحمامات علي اليمين، والجزء المقابل لهما يساراً والذي كان عبارة عن غرفتي نوم، توسطهما استقبال صغير لا يزيد عرضه عن متران ونصف وبنهايته نافذة كبيرة، وكان ذلك الجزء تحديداً منتهى الغرابة والغموض فقد وضع به تيام تحت النافذة مقعداً أثرياً، قد اشتراه من

إحدى مزادات التحف والأنتيكات، ولم يضع بهذا المكان غيره فهو كان يعتبر ذلك الجزء من البيت متحفه الخاص، ومن غرابة ذلك الجزء طلاؤه باللون الأسود القاتم، وقد وضعت به مادة ذهبية لامعة، لم تغير حدة الأسود ولكنك ترى نقاطها المتوهجة من بين حلكة الظلام، وسقفها مطلي باللون الرمادي الفاتح المزود أيضاً بتلك المادة اللامعة، وجعلها تيام متحفاً نادراً للصور واللوحات الفريدة من نوعها مثل لوحة الجيوكاندا أو الموناليزا للرسام العالمي ليوناردو دافنشي، وصور لشخصيات تاريخية في بعض المواقف وكانت الصور بمثابة نوع من التأريخ والتوثيق لبعض الأحداث، وكان جدارا ذلك المكان ممتلئين بالصور، ماعدا ذلك الجدار الصغير الذي وضعت به النافذة وكان يجلس تيام بين هذه اللوحات دائماً، حالماً أن يصنع بمثيلاتها من إبداعه مجداً وتوثيقاً لعشقه لتلك الهواية المبهجة.

دلف تيام داخل غرفة نومه واسترخى قليلاً، فغلبه النعاس فاستسلم له، وبعد ساعات طوال استيقظ حين أحس باحتياجه للذهاب للحمام، وعاد منه، بعد أن استفاق أخذ يبحث عن هاتفه ليعلم كم الساعة، فلم يجد الهاتف، بدأ يتذكر كل ما حدث بالأمس وخرج متجهاً نحو الاستقبال ليعلم الوقت من خلال ساعة الحائط الموجودة به، ويجري بعض الاتصالات الهاتفية من خلال الهاتف الأرضي الذي يتركه بعيداً عن غرفة نومه كي لا يزعجه أحد، وحين خروجه من الغرفة مجدداً وجد شاباً يقف أمام إحدى الصور المعلقة بالبهو الصغير، تعجب تيام من وجود ذلك الشخص الغريب

ببيته وبدأ يشعر مجدداً بالدفء والقشعريرة وقرع الطبول، تذكر أن تلك الأعراض نفسها التي باغتته بالمقابر ليلة الأمس، رجفة انتابت جسد تيام فتسمر مكانه، ولم يعد قادراً على السير ولا الخر،وج ولا حتى العودة داخل الغرفة وإحكام غلقها عليه، فوجد ذلك الشاب يتحدث إليه قائلاً:

-لا تخف يا تيام فو الله ما جئتك إلا للخير ولمصلحتك فقط.

حاول تيام الاختباء داخل غرفته فدخل مسرعاً وقبل أن يحكم إغلاق الباب وجد صوتاً يأتي من خلفه من داخل الغرفة قائلاً:

-لا تخف يا عزيزي

فخرج بسرعة الريح وأغلق الباب وحاول الفرار فوجد الشاب نفسه يقف أمام نفس الصورة ثم تحدث إليه بهدوء قائلاً:

-ألم أقل لك لا تخف يا صديقي.

ثم التفت إلى تيام ونظر إليه، وحين حدّق تيام النظر إليه وتلاقت العيون وجده نفس ذلك الشكل الذي رآه بالأمس، إنه الرجل الدخاني الوسيم ولكنه هذه المرة ظهر متضح الشكل والملامح بصورة آدمية.

سقط تيام أرضاً مغشياً عليه، وخلال دقائق وجد نفسه نائماً على سريره وهناك من يحاول إسعافه من غيبوبته، بأن أتى بقارورة من المعطر الفواح الموجودة لدى تيام وفتحها قرب أنفه وأخذ يربت على كتفه بهدوء.

أفاق تيام وعلم أنه بصدد أزمة تستوجب الصمود والمواجهة ليعلم ما نهاية أمرها، وحين فتح عينيه وجد ذلك الرجل يجلس بجواره على السرير فبدأ يتماسك نفسه قليلاً، ثم صاح قائلاً:

-أستحلفك بالله أيها الكيان الغامض أن ترحل وتتركني وشأني، وإن كنت قد آذيتك دون قصد باقتحام المقابر، فأعدك أنني لن أكرر ذلك ثانية،

نظر إليه الرجل قائلاً:

-لو أنك تعلم حكايتي يا تيام لأشفقت عليّ بدلاً من خوفك مني، فأنا والله أشعر وكأنني في الجحيم وأتمنى أن تساعدني مثلما سأساعدك.

بدأ تيام يهدأ واحتسى بعض رشفات من الماء وسأل الرجل عن الساعة فأخرج له الرجل هاتفه قائلاً:

-خذ هذا الشيء الذي فقدته بالأمس، فقد أحضرته لك لمعرفتي أنك ربما تحتاجه.

تعجب تيام بعض الشيء!! ونظر للهاتف كانت الساعة الثالثة صباحاً فوجد اتصالات كثيرة جداً من رؤى وسكرتيرته بالاستوديو الخاص، وكان اسمها رشا وبعض العملاء، أما عن الأصدقاء فلم يكن لتيام أصدقاء قريبون، كانوا جميعاً مجرد زملاء دراسة سابقين أو معارف أثناء العمل.

وبرغم كل الخوف لدى تيام إلا أنه حين نظر لملامح ذلك الرجل لمح فيها علامات الحزن وبشدة، أخذه الفضول ليعرف قصته وأخبره أنه يكاد يعرف بشرياً يشبهه تماماً ولكنه لم يتذكره بهذا الوقت!!

العديد من الرسائل والرنات تصنع ضجيجاً يقلق ويزيد التوتر، ودون أن يدري تيام قام بإغلاق الهاتف نهائياً، وسأل الرجل قائلاً:

-من أنت؟ ولماذا أتيت إلى هنا؟ ولماذا لي أنا تحديداً؟ وكيف ستساعدني كيفما قلت وكيف أساعدك؟

قال الرجل لتيام: سأخبرك بكل شيء ولكن تعالَ معي.

فسأله تيام بتعجب:

-إلى أين؟!

-الرجل: إلى ذلك البهو الصغير خارج الغرفة، عند الصورة التي كنت أقف أمامها.

- تيام: لماذا؟ وما لغز تلك الصورة تحديداً؟

-الرجل: تعالَ معي فقط، وسأخبرك بكل شيء.

خرجا سوياً ووقفا أمام الصورة، وقال الر جل محدثاً إياها بحزنٍ شديدٍ:

-أتذكرك جيداً يا دائي ودوائي، ويا علتي وشفائي.

قال له تيام مستنكراً:

-كيف تتحدث إلى الصورة وما علاقتك بها؟

-الرجل: وهل تعلم حكايتها وحكاية صاحبها؟

-تيام: نعم بالتأكيد، إنها صورة طفلة مجاعة السودان والتي حصل صاحبها السيد (كيفن كارتر) على جائزة البوليتزر العالمية و....

وقبل أن يستكمل حديثه نظر للرجل قائلاً:

-لقد أخبرتك أن لك شبيهاً من عالم الإنس تبدوان وجهاً واحداً وصورة واحدة.

فقاطعه الرجل قائلاً

-أنا كيفن كارتر صاحب تلك الصورة يا تيام.

ذُهل تيام ونظر إليه!!!

فقاطعه كارتر قائلاً:

-أعلم أنك تعرف عني الكثير وتعرف قصة تلك الصورة، ولذلك أضفتها لمقتنياتك ولمتحفك النادر الصغير.

-تيام: بالطبع يا سيد كارتر، ولكن أود سماع تفاصيل كل شيء منك.

-كارتر: ليت بإمكاني إعلامك بكل شيء فأنا عن نفسي قد نسيت معظم الأحداث، بسبب ما رأيت حين موتي بعدها، ولم أعد أتذكر كل الأمور تفصيلاً ولكنني لا زلت أتذكر بعضها فقط.

-تيام: مثل ماذا يا كارتر؟

-كارتر: كما علمت اسمي "كيفن كارتر" ويدعوني الناس باسم "كارتر" الذي سوف تناديني به يا صديقي، بدأتُ عملي مصوراً للأسبوعيات الرياضية عام **1983** م، ولكن لم تستهوني تلك المهمة، وكنت دائماً ما أشعر أن هناك دوراً هاماً يجب أن أقوم به وخاصة بسبب الأوضاع المتأزمة في بلادي، حينها ولذلك في عام **1984** م، انتقلت للعمل في صحيفة جوهانسبرج

ستار، كنت مصرّاً علي فضح وحشية سياسة الاضطهاد والفصل العنصري، وقد شهدت حينها العديد من أبشع الجرائم التي تسببت في تدهور حالتي النفسية، حتى أصبت بالاكتئاب، حتى وصل بي الحال أنني قد قتلت نفسي، وما يحدث الآن أنّ الله قد منحني فرصة كحالة استثنائية لا أعلم كيف، ولكن ما أعرفه أن مهلة الله لي معجزة وجزء من رحمته، التي أنزل منها جزءاً في الحياة الدنيا، وبين الخلائق واحتفظ بتسع وتسعين جزءاً منها لديه، ويمنح رحمته من يشاء وحين يشاء.

-تيام: جميل جداً، لكن كلامك هذا جزء من عقيدتنا الإسلامية، فكيف تتحدث عنها رغم كونك غير مسلمٍ.

-كارتر: هو ذلك الجزء من رحمة الله الذي أمهلني به بعد فناء جسدي؛ فترك روحي معلقة في الأرض ولم أمر بحياة البرزخ ولا عذاب القبر، حتى وقتنا هذا، فمنذ أصبحت روحاً بلا جسد صرت أجوب في كل بقاع الأرض أبحث عن الحقيقة وعن حكمة الله لي ومعي، وكنت أتابع الأحاديث الدينية بشغف أياً كانت من شيخ على منبر في مسجد، أو من أحد القساوسة في كنيسة أو حتى يهودي في معبد، كنت أتابع الجميع بشغفٍ أستمع وأقارن وأبحث عن الصواب وبشغف وتعلمت الكثير وعرفت أنني ما قتلت نفسي إلا بسبب جهلي.

-تيام: ولماذا جئتني أنا تحديداً.

-كارتر: جئتك لأنك تشبهني وكأنك أنا، ولم أقصد أنك تمثلني شكلاً ولا حتى نفسياً.

نظر إليه تيام خائفاً مرتعداً وقال: لكنك تشبهني حقاً، تعيش حالة يتم رغم وجود بعض أهلك، تبحث عن ذاتك وعن نجاحك رغم شدة آلامك، تبحث عن الشهرة لتتخذ منها موطناً ومأوى ومهرباً من ضغوط الحياة، ثم أردف قائلاً:

-أكثر ما أخشاه أن تتشابه نهايتي بنهايتك يا سيد كارتر، وهذا جحيم لا يمكنني حتى مجرد تخيله.

-كارتر: وهذا هو سبب اختياري لك دون الناس يا تيام.

لقد خشيت أن تقتل نفسك يوماً ما مثلي بسبب ما سوف تراه طوال حياتك من أفعال الناس ومن تناقضهم ومن قبح الحياة ومن شدة قسوتها، ثم عاد كيفن ينظر إلى تلك الصورة، كانت الصورة الشهيرة لطفلة المجاعة، اقترب تيام من كيفن قائلاً:

-متى ستخبرني بتفاصيل تلك الصورة بكامل تفاصيلها الخاصة التي لم يرَها غيرك يا سيد كارتر؟؟

-كارتر: وما رأيك أن تأتي معي إلى هناك يا تيام وترى كل شيء بنفسك؟!

-تيام: كيف وقد حدثت تلك الواقعة منذ أكثر من عقدين ونصف؟!

-كارتر: ستأتي معي بعقلك وروحك وجوارحك، ولكن جسدك سوف يبقى عالقاً هنا.

-تيام: لا، لا أود اقتحام مخاطرة مثل تلك ربما لن أعود طبيعياً كعهدي السابق بعدها.

-كارتر: أدرك جيداً خوفك وحرصك وفضولك، لكن ثق أنني ذاهب معك للذكرى، أريد العودة للماضي برفقة صديق، نرى ماذا فعلت وفيما أخطأت لأحاول التكفير عن ذنوب رغم نسياني لمعظمها، إلا أنني حقاً وبكل أسف فعلتها، أود أن أواجه نفسي بأخطاء اقترفتها بالماضي، وستظل عالقة بعنقي إلى يوم القيامة لعلّي أستطيع صنع أفعال خيرية ربما يكرمني الله لأجلها فلا تبخل عليّ بمرافقتك لي يا تيام.

يجتاح الفضول عقل تيام الذي بدأ يثق بتلك الروح التي تظهر له والتي كانت لشبيهه بالعهد القريب، وأومأ برأسه لكارتر الذي ينظر إليه بشغف منتظراً موافقته لخوض الرحلة سوياً، وبعد تفكير طويل انتابت تيام روح المجازفة وسأل كارتر قائلاً:

-وإن تبعتك وأجبت بالموافقة، كيف سنبحر عبد الزمن بالعودة إلى الماضي وبأية وسيلة؟

ثم أردف قائلاً:

-وماذا إن شعرت بالخوف مثلاً، ووددت العودة دون اللجوء إليك؟

-كارتر: أما عن الوسيلة التي نعبر بها الزمان والمكان فكما قلت لك ستبحر معي بروحك لا بجسدك، بعقلك وجوارحك فقط بينما يظل جسدك ماكثاً ها هنا، وأما إن فكرت بالعودة فإنك بالفعل لن تحتاج مساعدتي فأثناء

رحلتك ستكون مثل النائم وإذا ما وجدت ما يقلقك فبمجرد انزعاجك أو رهبتك ستعود حواسك جميعها إلى أرض الواقع فوراً.

بعد تفكير لحظات وافق تيام ونظر إليه منتظراً بدء الرحلة.

فمد كارتر يده نحو تيام، فمد تيام يده له ونهض واقفاً، وراح ينظر إلى جسده الذي بدا له كخيالٍ دخانيٍّ مثل كارتر حين رآه للمرة الأولى، ثم نظر إلى ذلك الجسد الذي يستقل أمامه مقعداً، ويبدو نائماً فعرف أنه جسده الذي انسحب هو منه لبعض الوقت ومن ثم فعليه العودة إليه مجدداً، فأخذ يحدق به النظر ويدور سائراً حوله ليعرف كامل تفاصيل شكله وجسده بنظرة غير التي اعتاد عليها، حيث لم يكن ليرى سوى وجهه من خلال المرآة فقط.

نظر إليه كارتر قائلاً:

-دعك من هذا التعجب وهيا بنا نذهب، وأخذ بيد تيام ونظرا نحو تلك الصورة وتوجها نحوها، وفجأة وجد تيام نفسه على أرض الواقع، حيث التقطت الصورة ويعيش الوقت والحدث.

قرية أيود السودانية مارس **1993**م

سار كيفن كارتر المصور الصحفي، ذلك الشاب الجنوب أفريقي الوسيم في قرية أيود السودانية، حيث ذهب إلى هناك برفقة صديقه الجنوب أفريقي أيضاً الصحفي والمصور جواو سيلفيا، وذات مرة وأثناء تجوله بالقرية سمع لبرهة صوتاً ضعيفاً لأنين طفلة صغيرة، نظر إليها ووقف على قرابة أمتار

يتابعها، كانت تزحف نحو مركز لتوزيع الطعام، كانت الطفلة رغم صغر عمرها تستطيع السير ولكن شدة الجوع أنهكت جسدها، حتى أصبح هزيلاً ضعيفاً، وبالكاد كانت الطفلة شبه عارية، فبالتأكيد من لم يجد ما يقتات به ليستطيع العيش، غالباً لن يجد ما يستر به بدنه، وجد تيام نفسه واقفاً إلى جوار ذلك الشاب، وعلم هويته وأنه كيفن كارتر رفيقه منذ زيارته للمقابر، بدأ يتأمله عن قرب كان حسنَ المظهر جداً في بداية عقده الرابع، أبيضَ اللون طويل القامة ذا عينين متسعتين ولامعتين، ذا شعر ناعم غزير أطاله بعض الشيء، وكان يفرقه من النصف إلى الجانبين وذا لحية متوسطة أنيقة، كان يرتدي بيده سواراً أنيقاً وطوقاً فضياً حول رقبته، وكان يرتدي جاكيت جينز وبأسفله قميصاً أبيضَ، كان شاباً تجتمع فيه كل صفات الأناقة والبهاء، ومن يراه للوهلة الأولى يدرك مدى عشقه للحياة، بالكاد كان يحمل مواصفات الجمال التي ورثها من والديه اللذين كانا من عائلة كاثوليكية ليبرالية؛ فقد نشأ كيفن كارتر وعاش معهم في حي لعائلات الطبقة المتوسطة والبيض فقط في مدينة جوهانسبرج، بدأ تيام يطابق ما قرأه عنه سابقاً مع ذلك الكيان الواقف أمامه والذي كان يحمل كاميرا تصوير فاخرة لا يحملها إلا المحترفين في هذا المجال، لاحظ تيام مراقبته للطفلة الزاحفة بتأنٍ فوقف يتابعها معه، فأتى نسرٌ كبيرٌ هبط على الأرض واقفاً خلفها على بعد بضعة أمتار، وبكل أسف فقد وقف هذا الوحش ينتظر الانقضاض علي جثة تلك المكلومة الصغيرة، ما أبشع الجوع إذا

أصاب الملائكة الصغار متعثري الحال مكتوفي الأيدي، في حين يغرق الكثيرين من المتخمين شبعاً في بحور من الإسراف والترف، سحقاً لتلك الحياة التي تمنح الكثير من العصاة والمسرفين كل شيء وتحرم ضعفاء مكلومين من كل شيء، وسحقاً لوكلاء أسرفوا وطغوا؛ فملؤوا بالفائض من بطونهم صناديق القمامة بما يغني الكثير من الجوعى عن الركض زحفاً خلف كسرة خبز، قد يجدونها وقد يموتون جوعاً، دونها فتصبح حتى جثثهم وجبة سهلة للوحوش الضارية، فزع تيام مما رأى وحاول أن يصنع شيئاً ولكنه وجد نفسه مجرد روح أو خيال، فأخذ يستنجد بكارتر ليبعد ذلك الطائر بعيداً، ولكن كارتر يتعامل معه بلا مبالاة وكأنه لا يراه ولا يسمعه، فهرول نحو الطائر محاولاً طرده لكن الطائر أيضاً كان لا يراه ولا يشعر به، استشاط تيام غيظاً وقهراً، فقد كانت نظرات الطائر للطفلة واضحة الهدف والنية، بدأ تيام يتخيل ما قد يحدث للطفلة لاحقاً، فراح يصرخ فزعاً وفرّ هارباً، فوجد نفسه وقد استفاق جالساً على مقعده، فنهض واقفاً يحاول إبعاد النسر فمسكه كارتر، وأخذ يتجول في المكان باحثاً عن وسيلة لقتل الطائر، فهزه كارتر بقوة وأخبره أنه عاد لأرض الواقع وأنه ببيته الآن.

تيا

أحكمت تيا غلق النوافذ كيلا تصطدم بالحوائط كليلة أمس مفزعة إياها مرة أخرى، وصنعت كوباً من مشروب الشوكولاتة الساخنة لكي تتناسى مع مذاقه الحلو شقاء يومها الحافل بالأعمال والأعباء، خاصة وأنها قد أنهكت نفسها بالعمل هذا اليوم أكثر لتتناسى ما أخبرتها به رؤى عن أمر غياب شقيقها تيام، وتستكمل إصرارها على تجاهل أمر شقيقها؛ فجلست على سريرها وسحبت الغطاء فوق قدميها، وبدأت تتصفح ألبوم صورها وتغرق بين طياته في بحور من الحنين والأنين والذكريات، وتبحر من حدث إلى آخر ومن انتصار إلى هزيمة، ومن فشل إلى نجاح، حتى وصلت إلى تلك المجموعة من الصور التي التقطت لها منذ عامين وشهرين، ربما وبضعة أيام حيث كانت أكبر صدمة بالعمر التي باغتت أجمل أيام حياتها، وما بين الصراع الدائم ما بين الخير والشر وما بين الفرح والحزن، ينتصر الحزن رافعاً رايته على أرض المعركة، بينما يلملم الفرح أذيال الهزيمة ويولي راحلاً إلى حيث لا زمان ولا مكان، فقد كانت الصور من حفل زفافها على حسان، وأخرجت إحدى تلك الصور وبدأت تتابع أدق تفاصيلها، فعادت بذاكرتها إلى ذلك اليوم.

ارتدت ثوب الزفاف الأبيض الذي جعلها إحدى ملكات الجمال الأسطوري الذين يذكرهم التاريخ مخلداً قصة جمالهم دوماً عبر السنين، كان ثوباً قصيراً بعض الشيء، مما أفصح قليلاً عن ساقيها، وزينت شعرها الأسود شديد النعومة ببعض الفصوص اللامعة وارتدت طرحة أنيقة تبرز إتقان تقليم شعرها هذا إلى جانب جمالها الطبيعي، كانت تيا بيضاء كبياض الثلج ذات عينين زرقاوين واسعتين بديعتي الحسن، ووجه مستدير مثل القمر متوسطة الطول، نحيلة القوام تشبه المانيكان الذي صممت جميع أجزائه طبقاً لمواصفات الجمال العالمية، ويجلس بجانبها حسان في أبهى صوره، فكان لامعاً كالنجوم في هذا اليوم، يقام العرس في إحدى أبهى القاعات في الإسكندرية، عروس البحر الأبيض المتوسط وبحضور بعض المطربين الواعدين الجدد، الذين غزوا شاشات التلفاز مؤخراً، ويشعلون أكبر المسارح بحفلاتهم الغنائية الشبابية المبهجة، كان زفافاً بديعاً لائقاً بفرحة العمر لعصفورين مثل حسان وتيا، يمزح الأصدقاء مع حسان ويجتذبونه ليرقص معهم، فيصيح مستجيراً بتوءم روحه مدين، وكان الجميع يعرف مدى صداقتهما، فقد كان من يفكر يوماً في تعكير صفو حسان أو إيذائه دائماً ما يخشى ردة فعل حسان مرة بينما يخشى ردة فعل مدين ألف مرة، كانت صداقة من نوع خاص نادر وخاصة من قبل مدين، وحين سمع مدين مناداة صديقه العريس ذهب إليه قائلاً:

-ماذا تريد أيها العريس المزعج الذي لا تنتهي طلباته أبداً؟ ثم أردف مازحاً:

-ألم يكفِك ما أقوم به بنفسي من متابعة الحضور ومصافحتهم وإرسال المشروبات والحلوى لهم، ماذا تريدني أن أفعل أيضاً أيها الصديق المتعب؟

تبسم حسان قائلاً:

-يريدونني أن أرقص وأنت تعلم أنني لا أتقن فن الرقص يا صديقي

فرد عليه مدين قائلاً:

-دعك من عبثهم وتعالَ معي لنلتقط برفقتهم مجموعة صور تذكارية، وعد بعدها لرفقة عروسك، واستدرج حسان، ثم اجتذبه من معصمه فقام معه، فضحكت تيا قائلة:

-لقد أقنعك مدين بما لم يستطع الجميع إقناعك به.

فأجابها قائلاً:

-إنه مدين توءمي وظلي الظليل.

تبسمت تيا وراحت تراقبهما، فنادى مدين المصورين لتصوير حسان وهو يرقص، فضحك حسان بتمرد لأنه لا يريد أن يرقص، وفجأة جلس مدين أرضاً، ثم أدخل رأسه خلسة من الخلف بين ساقي حسان وأمسك بيديه، ثم نهض واقفاً؛ فصفّق الجميع وأخذ مدين يرقص حاملاً صديقه على كتفيه وشجعه علي الرقص لصنع ذكرى سعيدة تلازمه طوال حياته، وبعد دقائق أشار مدين لزملائهم فاغلقوا دائرة جمعهم الراقص حوله، فقام بإنزال حسان

من فوق كتفيه وأشار إليهم ليحملوه سوياً ويقذفوه للأعلى مراراً كطفلٍ صغيرٍ يداعبه أبواه وتيا تراقبه بفزع خشية سقوطه من بين أيديهم وكلما ارتفع في الهواء كلما انقبض قلبها، وكلما لقفوه بأيديهم كلما هدأت واستكانت، وكانت مثل تلك الحركات بالأفراح لا تحدث بالقاعات الكبيرة هكذا ولكن كلمة السر كانت مدين؛ فكان هو صانع البهجة وراسم السعادة، وصلت السعادة ذروتها لدى الجميع وبعد مرور بضع ساعات شعر حسان بالتعب وأراد أن يستعين بمدين لإنهاء الحفل وللانسحاب مصطحباً عروسه إلى عشهما السعيد، فلم يجده فنظر إلى تيا قائلاً:

-لقد ذهب بعيداً بالتأكيد ليتحدث مع عزة.

ضحكت تيا قائلة:

-دع الرجل يتنعم بحبه وحياته أيها الصديق الجشع، الذي يريد أن يستولي على كل وقت صديقه بلا رحمة.

ضحك حسان قائلاً:

-ليت ظنوني تخيب بتلك الفتاة التي أحبها مدين بجنون والتي كلما سألته عنها كلما ضاع في بحر من التيه والحيرة، وأشعر وكأنما ازدادت نبضات قلبه ضجيجاً وبرقت عيناه التي تود البكاء، لكنه يحتبس دموعها دوماً، أما عنه فمن لي غيره يا تيا، فبرغم بقاء والديّ على قيد الحياة وبرغم حبي لإخوتي إلا أن مدين هو أخي وصديقي وظلي الظليل الذي أتعشم أن لا تغيره الأيام أبداً، وصمت حسان دقائق ثم أخرج هاتفه واتصل بمدين

مجدداً فوجده مشغولاً باتصال آخر؛ فعلم حسان أنه ربما يتصل بعزة التي يتمنى أن يراها جالسة بجوار صديقه علي كرسي الزفاف مثلما تجلس تيا بجواره، فحاول أن يجتذب صديقه من درب المجهول هذا ليطمئن عليه دون البوح له عن شكوكه بانتهاء قصة حبه مع عزة، مادام هو مصرٌ على إخفاء ذلك ولا يزال يتحدث عنها بصفتها حبيبته، وأنها وإن غابت لفترة ما هي إلا ظروفاً عابرة فحسب، فعاود حسان الاتصال به وحين رد مدين تحدث حسان إليه قائلاً:

- أين ذهبت وتركتني يا صديقي؟ هيا تعالَ أيها العاشق المجنون لتوصلنا إلى بيتنا وتطمئن علينا، وبعدها فلترحل كما شئت.

عاد مدين يتظاهر بالسعادة، وكالمعتاد تفضحه ملامحه وتنم عن حزنه الدفين، وحين أدرك حسان ذلك قام بممازحته حتى يسترد حضوره الجميل بينهم، تفرق الجميع بعد انتهاء مراسم العرس، ماعدا مدين الذي قام بدور السائق وقام بقيادة سيارة حسان ليوصلهما إلى عشهما السعيد، وعند المبنى الذي اتخذ حسان فيه بيتاً، ودعهم مدين بعدما أودع السيارة كراجها، ثم رحل.

دلفت تيا خلف حسان داخل عشهما الجميل وكعادة كل البنات كان خجلها يغلب جرأتها رغم قصة الحب الطويلة التي استمرت بينهما لسنوات طويلة جداً، وكان كلما استعجلها حسان للزواج، كلما رفضت بحجة تحقيق ذاتها والنجاح في عملها وتأسيس مكتب خاص لها لهندسة

الديكور، وقد كان ولم تتنازل عن حلمها حتى حققته رغم إطاحة حلمها بسرعة زواجهما خمسة أعوام كاملة، وخلف باب الشقة فور إغلاقه عليهما أمسك حسان بيديها ونظر إليها قائلاً:

-كان صراعاً مع الزمن يا تيا، كنت أعد الأعوام والشهور والأيام التي طالت عليّ حالماً بلم شملنا، وها قد انتصرت على الحرمان، وفزت بك يا حلم العمر، كانت تيا خجلة من النظر إلى عينيه وأجابته بحياء قائلة:

-لقد وهبتك روحي وعقلي وقلبي منذ زمن طويل واصطفيتك لتكون حبيبي ومالكي من بين كل رجال الأرض وحتى آخر العمر، وما كان حفل الزفاف وتوثيق العقد إلا إتماماً لكل ما أعيشه بجوارحي معك يا حبيبي.

نظر إليها حسان بسعادة لم يشهدها طوال حياته وفاجأها بأن حملها بين يديه كالطفلة، وما أن بدأ بالمسير نحو غرفة النوم حتى سمعا رنة هاتف تيا فتركها حسان لترى من ذلك عديم النظر والإحساس الذي يعكر باتصاله صفوهما في أجمل لحظات عمرهما فوجدته رقماً غريباً؛ فألغت الرد وسألها حسان عن المتصل فأخبرته أنه رقم مجهول وبعد ثوانٍ معدودة رن الهاتف مرة أخرى فردت تيا بتململ قائلة:

- من المتصل؟ وحينما رد عليها المتصل عنفته قائلة:

-يبدو أنك أخطأت الاتصال وهذا الرقم لشخص غير الذي تسأل عنه، ثم أنهت الاتصال، فعاود الاتصال مرة أخرى فتجاهلاه وحين رن الهاتف للمرة الأخيرة، حاولت تيا إغلاقه فطلبه منها حسان ليتعامل بنفسه مع ذلك

المتصل، تركت تيا هاتفها له ودلفت داخل غرفة النوم لتستبدل ثوب الزفاف وترتدي ما يليق بتلك الليلة، ورن الهاتف مرة أخرى فاستقبل حسان المكالمة ولكنه صمت ليسمع صوت المتصل ربما كان يعرفه، وبعد ثوانٍ تحدث المتصل قائلاً:

-لا بأس أن تكوني زوجته وعشيقتي يا تيا، فأنا لن أتنازل عن حبك وعن علاقتنا التي استمرت أكثر من ثلاث سنوات.

حينها صاح حسان قائلاً:

-من أنت أيها الوغد الحقير؟ ومن أين لك أن تعرف تيا؟ وحينما سمع المتصل صوت حسان أغلق الهاتف فوراً، فدلف حسان إلى غرفة نومه فوجد تيا تقف أمام خزانة الثياب تختار أجملها، فسألها عن المتصل وعن هويته فردت قائلة:

-بالطبع لا أعرفه يا حسان ولو كنت أعرفه لتحدثت معه، وأنهيت ذلك الحوار منذ البداية

-حسان: لكنه يقول أنّه يعرفك منذ أكثر من ثلاثة أعوام!!

توقفت تيا عن اختيار الملابس وأغلقت الخزانة ونظرت إلى حسان منزعجة ومعترضة أيضاً بشدة من ارتفاع صوته وتعبيرات وجهه وما بدا عليه من شكوك نحوها، فرفضت نظرة الاتهام وذلك الشرر الذي يتطاير من عينيه وثارت لكرامتها وأحبت أن تختبر مقدار ثقته بها فردت عليه قائلة:

-أنت تعرف طبيعة عملي وتعلم جيداً أن هناك رجال كثيرون في حياتي من بينهم عملاء وعمال ومساعدين وأصدقاء، وبالكاد أتواصل معهم باستمرار ولا يتحتم عليّ إطلاقاً إعلامك بكل شيء.

أحسَّ حسان من خلال ردها بالاستهتار والتحدي ومن شدة غضبه لم يشعر أنها فقط ثائرة من أجل كرامتها فاستشاط غيظاً ولطمها على خدها بقوة وراح يصرخ في وجهها قائلاً:

-وعشاق أيضاً أليس كذلك أيتها العاهرة؟ فسالت الدماء من فمها من شدة الصفعة وسقطت أرضاً أمامه، ومع أول قطرة دم لوثت نقاء ثوب زفافها الأبيض سالت دموع عينيها شلالاً ونظرت إليه قائلة:

-ماذا فعلت يا حسان؟ تضربني وتتهمني بسبب رسالة من مجهول لا نعرف عنه شيئاً؟ هل هذا ما تعرفه عني؟ أين عقلك وأين ثقتك بي؟

وما بين الإدراك وسوء الظن تاه عقل حسان في بحر من الشتات؛ فجلس على مقعد أمامها وأمسك برأسه التي أطاحت بها سوء الظنون والأفكار، ازدادت حسرة تيا حين رأته هكذا فأخذت تبكي وتلطم خديها قائلة:

-سلمتك نفسي لتكملني وأحتمي بك، لأكون جزءاً منك تحتويني وأحتويك وأستند عليك، ولكنك بدلاً من أن تمد إليّ يدك بالرحمة وتحاوطني بحنانك صفعتني، وتركتني طريحة الأرض وكففت يدك حتى عن مساندتي، حاولت استجماع قواها، ثم أردفت قائلة:

-إن كان هذا ترحيبك بي واستقبالك لي فأنا مستغنية عنك، وتحرم عليّ ضمة يدك التي صفعتني ظلماً بها يا حسان

ونهضت واقفة وكان تدفق الدم من فمها في تزايد أكثر، فوضعت يدها على فمها ونظرت إليها لتجدها ملطخة بالدماء، فذهبت نحو باب البيت وفتحته وخرجت وهو لا يزال يمسك برأسه التي تتخبط شكاً، ونزلت إلى الشارع والخوف والحسرة يملآن قلبها خشية من حسان ومن الناس ومن مصيرها المجهول، وأخذت تشير للسيارات حتى توقفت أمامها إحدى سيارات الأجرة، فركبت متجهة نحو منطقة سيدي جابر ذاهبة إلى أخيها الوحيد، وكل ما تبقى من أسرتها تيام، وعندما وصلت إليه وقرعت باب شقيقها الذي تعجب متسائلاً: مَن ذلك الطارق في هذا الوقت المتأخر بعد منتصف الليل، ففتح الباب فوجدها شقيقته تيا التي أودعها عريسها منذ ساعة، حين رآها ذُهل وتوقف عقله عن التفكير من شدة الصدمة، وبرقت عيناه أكثر حين رأى دماءها التي لطخت وأضاعت بهاء ثوب زفافها الأبيض ودموعها تملأ خديها، وفجأة وهي تنظر إلى أخيها الذي نسي أن يصحبها للداخل كادت أن تسقط أرضاً مغشياً عليها فأسرع تيام وحملها وذهب بها إلى غرفة نومه، وأودعها سريره وقام بإفاقتها وأخذ ينظر إليها باكياً ويمسح دموعها، فنظرت إليه حين أفاقت، واستطاعت التحدث قائلة:

-لا تخف يا شقيقي فأنا العذراء الشريفة العفيفة التي لم تغضب ربها، ولم تطرق للفاحشة باباً، ولم تعرف لها سبيلاً.

نظر إليها شقيقها بسعادة قائلاً:

-الحمد لله الذي حفظك وخيب سوء ظني بك ولكن....

ثم صمت، فلاحقته تيا بالكلام قائلة:

-ولكن ماذا يا أخي؟ تقصد لماذا عدت إليك بثوب زفافي وبحالة سيئة هكذا؟ ثم أردفت قائلة وباكية:

-لقد أساء الظن بي وأهانني ليلة عرسي وأطفأ فرحتي يا تيام، ومن يفعل هكذا لا يستحق أن أكون زوجة له ولا يستحق أن أؤمنه على نفسي.

اقترب منها شقيقها وبدأ يجفف دموعها بالمحارم الورقية ويربت علي كتفها ويسألها ماذا حدث ليتفهم الأمر ويستطيع التعامل مع حسان فبدأت تحكي له كل ما حدث تفصيلاً:

اتصل حسان بصديقه مدين ليستنجد به في بلواه ويسأله كيف السبيل وماذا يفعل ويستعين به للتفكير معه، وحين نظر مدين للهاتف ووجد المتصل هو صديقه عريس اليوم رد بلهفة متسائلاً:

-ماذا حدث يا حسان ولماذا تتصل بي، هل أنتما بخير؟؟

-حسان باكياً: تيا كانت تخونني يا مدين وأنا في مصيبة كبيرة، ولا أعلم ماذا أفعل؟

-مدين ساخراً: تيا تخون؟ وتخونك أنت؟ بالتأكيد أنك واهم يا صديقي فحب تيا لك واضح ومخلد، ولا يختلف على ذلك اثنان من زملائنا وأصدقائنا

-حسان: تعالَ يا صديقي أحتاج وجودك بجانبي.

-مدين: فلتهدأ فحسب يا صديقي، وسوف آتي إليك مبكراً.

-حسان: سأجن استسلاماً للتفكير والحسرة إن جلست بمفردي هكذا

-مدين: بمفردك؟ وأين تيا؟

-حسان: لقد حملت اللعينة خيانتها فوق أكتافها ورحلت وتركتني وحيداً

-مدين: ماذا تقول يا حسان؟ هل جننت؟ لن أسمح لك بسبها كي لا تندم على ذلك طوال حياتك، وتذكر أنها تيا حبيبة قلبك ورفيقة دربك والتي نشهد جميعاً بأخلاقها، وبعد لحظات أردف قائلاً:

-حسناً، انتظرني وخلال دقائق سأكون برفقتك لنتدبر الأمر ونحاول إصلاح ما أفسدت أيها الغيور الأحمق.

كان مدين لا زال مرتدياً ملابس الخروج، ولم يستبدلها بملابس النوم فخرج مباشرة وذهب لصديقه ووصل عنده في غضون دقائق

وما أن طرق الباب حتى استقبله حسان واجتذبه مسرعاً ليخبره بما حدث ليستند عليه وليفكرا سوياً ويستطيعان تفسير كل ما حدث، فجلس مدين منصتاً إليه متدبراً ما يقول حتى النهاية، وفي نهاية الأمر أخبر حسان أنه

أخطأ بحق تيا، وظلمها وطلب منه الذهاب فوراً لمصالحتها، وحين أخبره حسان عن المكالمات وبخه مدين قائلاً:

-جميعنا يعرف أن تيا تحتاج الكثيرين للعمل معها، وهذه طبيعة عملها وربما كان هذا المتصل خصماً أو عدواً، أراد إيقاع الفتنة بينكما وما كان يجب أن تمنحه تلك الفرصة وبكل هذه السهولة يا حسان!!

وأخذ يتدبر الأمر أكثر، ثم نهض واجتذب حسان من يده قائلاً:

-هيا نذهب لإحضار تيا

-حسان معترضاً: ماذا تقول؟ لن أذهب ما دام الشك ملأ قلبي حتى أعرف الحقيقة كاملة.

قام مدين رغم ضعف جسمه وضآلة حجمه بالنسبة لحسان، لكنه لم يتراجع وأخذ يشد بيدي صديقه قائلاً:

-إغضابك لها وهي عروس لعنة ستظل تطاردكما طوال العمر، أتوسل إليك يا صديقي قم معي لنحضرها أولاً، وابحث عن كل الحقائق أو الأوهام التي اجتاحت ذهنك لاحقاً، لكن لا تكسر قلبها دون أن تتأكد من إدانتها، تجاهل حسان سوء الظن وكأنما استفاق من غيبوبة ابتلعته وعاد بعدها لأرض الواقع، ثم نهض وذهب مع صديقه مدين، استقلا سيارة حسان وقادها مدين متوجهاً نحو سيدي جابر، حيث يقطن تيام وحاول حسان الاتصال بها فلم يتلقَّ منها رداً، فاتصل بشقيقها، فنظر تيام نحو الهاتف وحين علم أنه حسان لم يرد عليه رأفة بحال تيا، التي جلس بجانبها يجفف

دمعها ويمسح على رأسها حزيناً لأجلها، وبعد دقائق باغتتهما رنة جرس البيت تقطع خلوتهما الحزينة تلك، هرع تيام نحو الباب وفتحه فوجد مدين، تعجب تيام من قدومه بذلك الوقت، لكنه بالتأكيد يعرف السبب فمدين وحسان كيان واحد لا يتفرقان، كما يعرف عنهما الجميع، تأسف مدين عن زيارته المفاجئة في هذا الوقت، وطلب من تيام أن يأذن له بالدخول لرؤية تيا، استضافه تيام في الاستقبال وجلس معه ليخبره أن تيا متعبة ولن تستطيع أن تقابل أحداً فدخلت عليهما تيا قائلة:

-أخبره أنني لن أعود إليه يا مدين، فقد ظلمني وأهانني وكسر قلبي وحطم فؤادي.

فقاطعها تيام قائلاً:

-رغم علمي أنك مظلومة يا شقيقتي، ولكن كما أخبرتك، يجب علينا أن نتحمل ونواجه الأمر بحكمة كي لا نصير حديثاً للناس، نسب ونطعن في أعراضنا

-مدين: لكن حسان ندم وشعر بخطئه ويريد مصالحة تيا، لأنه يحبها ويثق بها

-تيام: وما دام الأمر كذلك، لماذا لم يأتِ هو بنفسه لمصالحتها؟

-مدين: مَن قال ذلك يا صديقي؟ إنه منتظر معي بالخارج، اسمحا لي فقط بإدخاله وهرع نحو الباب بخفة وفتحه مسرعاً وكان حسان واقفاً خلفه وحين رأته تيا ولت وجهها مدبرة ومسرعة نحو غرفتها فناداها حسان:

-تيا، أحبك ونادم على ما فعلت وسألقي بنفسي من نافذة هذا البيت وأموت حالاً إذا لم تسامحينني...

تسمرت تيا مكانها وسالت دموعها شلالاً، فدخل حسان البيت وذهب نحوها دون تردد، ثم وقف أمامها وجلس على ركبتيه أمامها وأخرج وردة كان يخبئها بجيبه حين سبقته لاستبدال ملابسها قبل خلافهما، ومد يده لها بالوردة باكياً، وأمسك يدها بيده الأخرى وقبلها، فصفّق مدين وأخذ يشعل جواً من الهزل والمرح كي يتناسيا حزنهما ثم قال لصديقه:

-ماذا تنتظر أيها المجنون العاشق؟

فضحك الجميع ونهض حسان واقفاً، وحمل حبيبته بين يديه وقبل أن يخرج بها نظرت إلى تيام مستنجدة به، أن لا يتركها ويكون قريباً منها بهذا اليوم فنظر لها أن لا تقلقي يا قرة عيني واذهبي معه، فنظر إليه حسان يستأذنه فهو ضيفه ولا يتوجب عليه فعل شيء دون إذنه، فنظر له تيام بحدة معترضاً على كل ما صدر منه وتتابعت النظرات لدى الجميع ثوان، ثم انطلق تيام قائلاً:

-اعتن بجوهرتك جيداً يا حسان، ولا تغضبها ثانية وإلا حرمتك منها طوال حياتك.

-حسان ضاحكاً: لن أغضبها طوال حياتي، ولن أتركها لحظة واحدة سأضعها بداخل قلبي وأغلق أبوابه عليها يا تيام، وأخذ يضحك بعبثية طفل وخرج مسرعاً بعروسه، فضحك تيام ومدين من منظره الساخر وهو

يهرول حاملاً عروسه وينظر إليها بدلاً من أن ينظر إلى الأرض، حتى كاد يقع بها فربت تيام على كتف مدين وقال له:

-قُد السيارة وصاحبهما حتى بيتهما ولا تتركهما حتى يدخلا ويغلقا الباب يا مدين، ثم أردف قائلاً:

أعلم أنه يتحتم عليّ فعل ذلك، ولكنني أقدر خجلهما الشديد مني وارتياحهما أكثر معك، فأومأ مدين برأسه مرحباً بكلام تيام ثم خرج يلحقهما

واصطحبهما إلى بيتهما، ثم نظر إلى حسان أن لن أنتظر منك حماقات أخرى وأكرم تلك الحسناء التي تعشقها وتعشقك، ولا تدع بينكما للشيطان مجالاً.

حاولا استعادة فرحتهما المسروقة ومشاركة تفاصيل أجمل ليلة بالعمر سوياً فرن جرس الهاتف مجدداً معلنا عن اتصالٍ جديد، فحمل حسان هواتفهما وقام بإغلاقهما دون النظر لاسم المتصل، فرحت تيا ودلفت داخل الغرفة لاستبدال ملابسها فرافقها حسان فطلبت منه بحياء أن ينتظر بالخارج حتى تنتهي، ولكنه رفض وقال لها أنه لن يتركها لحظة من الآن؛ فهو مشتاق إليها بحجم السماء، فتبسمت ولم تجد ملاذاً للفرار منه فتركته يرافقها وحين دلفا داخل غرفة النوم احتضنها حسان بقوة وتأسف لها عما بدر منه دون عمد، وأعلمته أنها سامحته لأنها تحبه، وطلبت منه الانتظار لتبديل ملابسها وعاودت الوقوف أمام الخزانة، وجلس حسان على السرير

ينتظرها وينظر إليها، مؤنساً بوجودها عاشقاً لأدق تفاصيلها، خائفاً من فواجع الأقدار التي ربما تطيح يوماً بعشقهما العتيق، ومد يده يستند بها على السرير فوجد بعض الأشياء فراح يتحسسها واجتذبها ليرى ماهي وكانت المفاجئة فقد كنت قلادة تيا الذهبية التي قالت أنها فقدتها منذ بضعة شهور، وكانت حزينة جداً لأجلها وبجانبها مظروفاً كبيراً ففتحه حسان فوجد به مجموعة من الصور.

تيام

وقد احترق قلبه قهراً من حال تلك الطفلة ودفع بعيداً عنه يد كارتر الذي بدأ يظهر له بصورة إنسان، والذي ينطبق عليه كل ما ينطبق على الإنس حين ظهوره هكذا، قدم نحوه كارتر ليحدثه، فحاول تيام ضربه على رأسه وما إن اقتربت يد تيام منه حتى شعر فيها بالشلل وعجز عن الحركة وخاطبه كارتر قائلاً:

-أما زلت مصرّاً على ظلمي وعدم مساعدتي يا تيام؟

-تيام: وكيف أساعد وحشاً مثلك ترك طفلة يفترسها وحش جارح على هيئة نسر، ولم يشفق على طفولتها ولم يكن رحيماً بها، أنت وحش يا كارتر وتستحق أن تموت عشرات المرات وليست مرة واحدة.

-كارتر: يجب أن تشهد الموقف كاملاً، حتى تطلق أحكامك عليّ بعدها يا تيام، ليس من العدل أن تحكم دون معرفة كامل التفاصيل!!

-تيام: لماذا أصبت ذراعي؟ إنني لا أشعر به وكأنه جزء بتر من جسدي، ماذا فعلت بي أيها الظالم؟

-كارتر: استوقفتك عن الفرار حتى أستطيع محادثتك

-تيام وبخوف شديد: وهل ستضرني لو رفضت استماع ما تود أن تقوله أنت؟

-كارتر: لا، اذهب حيث تشاء ولا تخف فقد عادت لذراعك حيويته

هز تيام ذراعه فوجده معافى يستطيع الحركة كأن شيئاً لم يكن، وولى ظهره نحو تيام الذي لاحقه سائلاً:

-ماذا كان مصير الطفلة؟ هل أنقذها أحد أم افترسها النسر؟

أجابه كارتر ضاحكاً:

-لم أتركها فريسة للنسر يا صديقي، ولكنني حقاً لم أعد أتذكر التفاصيل فهيّا نذهب إلى هناك

تبسم تيام قائلاً:

-لا داعي يا صديقي فقد تذكرت باقي التفاصيل من خلال قراءتي عن هذه الصورة وتفاصيلها، ولكن ما حدث أنه تاه عقلي حين رأيت الأحداث تعاد في وجودي فثارت مشاعري وودت أن أفعل شيئاً

-كارتر: أين قرأت وماذا سمعت؟

-تيام: تعالَ وسأخبرك بكل شيء

واجتذب كارتر من يده وجلسا، وقام تيام بتشغيل حاسوبه وبحث عن صورة طفلة المجاعة السودانية للمصور الجنوب إفريقي كيفن كارتر تلك المعلومات التي قرأها سابقاً ويدركها جيداً، ولكنه تناساها من هول صدمته وعرف أن كارتر رفض لمس الطفلة لأن كان لديه تعليمات بعدم اللمس تجنباً للعدوى والأوبئة التي انتشرت آنذاك، وأنه ظل يراقب المشهد منتظراً أن يفرد النسر جناحيه محاولاً افتراس الطفلة ليلتقط أخطر صورة لمأساة

الشعوب العربية في أسوأ صورها، وبعد نحو عشرين دقيقة من المراقبة قام كارتر بطرد النسر، واستكملت الطفلة زحفها حتى وصلت إلى مركز توزيع الطعام، وتم إنقاذها واستكمل قراءته ليعلم أنه كان طفلاً ذكراً، ولم يكن أنثى كما يقال، وأن ذلك الولد عاش أعواماً بعد هذه الواقعة حتى توفي في الثالثة عشر من عمره مصاباً بأحد الأوبئة.

وبعد أن استعاد تيام قراءة ذلك الحدث مع كارتر حاول استعادة باقي المعلومات عنه ولكن كارتر رفض، فسأله تيام عن السبب، فأخبره كارتر أنه أصبح بينهما تواصل عقلي وروحاني، أي أنه بمجرد سماع تفاصيل الحدث أو استرجاعها ذهنياً فسيشهدها تيام ويراها رؤى العين ويعيشها مثلما حدث، رفض تيام ذلك المنطق غيرالمنصوص عليه بأية كتب أو فكر أو عقيدة، فحاول أن يتخلص من كارتر بأية وسيلة فقام بتشغيل القرآن الكريم ظناً منه أنه سيفارق البيت، لكن كارتر أجابه بأن القرآن ربما يزهق الجن الكافر والشياطين وليست الأرواح ولا الجن المسلم ولا عامر البيت، ذلك النوع من الجن الذي يملأ بيوتنا ويأكل معنا من طعامنا ويشاركنا الكثير من التفاصيل، خجل تيام من كارتر عندما كشف نيته بالتخلص منه ولم يستطع، وغضب كارتر من ذلك كثيراً وأعلم تيام أنه سيتركه يتدبر أمره حتى الغد، وحين سأله تيام إلى أين سيذهب فأجابه أنه سينام بالقرب منه على ذلك الجدار الأسود المقابل للجدار الأسود الآخر الذي يحمل في فضائه مجموعة الصور واللوحات العالمية تلك، سأله تيام

كيف سينام على جدار؟ هل يستند بظهره إلى الجدار ويجلس أرضاً؟ علم كارتر بما يدور برأسه فنظر إليه وتوجه نحو الجدار وقفز نائماً عليه، كما لو أن تحته سريراً أو كما لو أنه لوحة رسمت باستمالة لرجل نائم وطبعت على الجدار، ففر تيام داخل غرفته حين شاهد ذلك وأحكم إغلاق بابها متناسياً أن كارتر يستطيع عبور الحدود والأبواب، وضع جنبه الأيمن على سريره وضم رجليه نحو بطنه، كضمة الجنين خائفاً ومرتعشاً وغير مصدق لكل ما يحدث وكان منهكاً وكأنما لم يذق للنوم طعماً منذ ليالٍ طوال، فغرق في نومه ساعات كثيرة حتى صحا من نومه باليوم التالي متأخراً، فتذكر أنه منذ يومين لم يذهب للعمل فقام من سريره وذهب إلى الحمام، وتعوذ بالله قبل الدخول وتوضأ وصلى الصبح للمرة الأولى منذ فترة لم يتذكر حدودها، وحين بدأ يتجول في بيته بدأ يشعر بكائنات شبه آدمية معه بالبيت فانتابته حالة من الرعب، رغم كونه لم يدركها سوى مجرد خيالات، فحين عاد لغرفة نومه شعر وكأنما سيدة غريبة تحمل طفلاً حتى إذا نظر إليها لم تعِره اهتماماً وكأنها ليست غريبة عن البيت، وحين أمعن النظر نحوها لم يرَها ثانية، فخرج للاستقبال الصغير يبحث عنها فوجد رجالاً يرتدون ملابسهم الداخلية ويجلسون في كل مكان وعندما راح يلمس ويتحسس أحدهم لم يشعر به وكأنه أيضاً مجرد خيال، فأسرع بارتداء ملابسه وخرج ليمارس أعماله التي غاب عنها يومين متتاليين لأول مرة، وقرر تناول وجبة الفطور في الشارع بين الناس هرباً مما يرى ويتحسس في بيته فقرر تناول

وجبته في أحد المطاعم الصغيرة فخرج بسيارته وتركها بمكان ما وتوجه نحو المطعم فشعر أثناء سيره بزحام رهيب، فكان يرى أشباه إنس مضيئين وملامحهم نورانية، مبتسمين مبتهجين ذوي إطلالة مشرقة تسر العين وبالنقيض أيضاً وجد أشباه إنسٍ ذوي ملامح لعينة وعيون جاحظة حمراء متطايرين في الهواء، ذوي ذيول وعلي هيئة نيران مشتعلة متفرقة، ما كان يحفظه من أن يصعق مما يرى هو عدم اتضاح تلك الكائنات بالشكل الكامل فكانت درجة وضوحها ضئيلة جداً؛ فحاول تيام أن يتيقن مما يرى فتحسس اقتراب أحد الكيانات النورانية تلك وحاول مصافحته ولمس يده فشعر وكأنما نسمة هواء منعشة رغم برودة الجو، إلا أنها تشعرك بالدفء والسكينة فشك أنها مجرد خيالات بسبب الإرهاق وعدم الاتزان نتاج ما مر به اليومين الماضيين، وقبل دخول المطعم وجد بجواره متجراً لبيع النظارات الطبية والشمسية وفي مدخل المتجر وجد عارضاً دائرياً معلق عليه بعض أنواع النظارات الشمسية كنوع من الدعاية والإعلان، وقف أمامه تيام وأخذ يبحث عن نظارة سوداء تحجب عنه بعض الرؤيا ويداعب بظلمة عدساتها عينيه كي تنشغل بهما ولا ترى كل تلك الكائنات، وأخذ يعاين كل تلك النظارات، وكلما أعجبته إحداها وضعها على عينيه ليرى ما تأثيرها، فلم تعجبه أياً منهم رغم فخامة ذوقها حتى وجد بأسفل العارض نظارة سوداء سميكة العدسات عدساتها تشبه إطارها تشبه ذراعيها، خالية من أي منظر جمالي فارتداها تيام ونظر للأمام فلم يرَ الخيالات مجدداً، ولم

يرَ سوى الأشخاص الحقيقيين الموجودين حوله بالمكان، سأل موظف المتجر عن ثمنها فنظر لها الموظف باستغراب قائلاً:

-من أين أتيت بها؟ هل هذه النظارة العجيبة كانت معلقة بين نظارات العرض بمتجري هذا؟

-تيام: نعم يا سيدي قد كانت معلقة ها هنا، وأشار بإصبعه نحو زاوية العارض السفلي

-الموظف: كيف ذلك وأنا لم أرَ هذا النوع بحياتي مطلقاً؟ ثم أنني أقوم بتنظيف النظارات يومياً، فماذا عن كل ذلك الغبار الذي يعتلي هذه النظارة تحديداً؟

-تيام: لا يهم كل ذلك يا سيدي، الأهم أنني أريد اقتناءها فهل تفضلت وأخبرتني ثمنها؟!

-الموظف متعجباً: ولمَ هذه النظارة تحديداً يا سيدي؟ وهناك عشرات الأنواع أرقى منها وأفضل صناعة وشكلاً وتليق بشاب يشبه النجوم مثلك!!

-تيام مبتسماً: لا يهمني كل ذلك ولا أريد سواها، وفتح محفظته مبتسماً وأخرج مبلغاً من المال وتركه وحمل النظارة ورحل، فأخذ الموظف يضرب يديه ببعضهما البعض متعجباً من فعل ذلك الأخرق من وجهة نظره وعن ذلك المبلغ الذي تركه وبإمكانه شراء عشر نظارات أرقى منها بهذا المبلغ.

خرج تيام مرتدياً تلك النظارة التي لا تليق بوسامته إطلاقاً مبتسماً، وينظر للناس وهم يتعجبون لما هو فخور بها هكذا ودلف داخل المطعم وتناول فطوره، ثم توجه لمعمل تصويره الخاص بعد ذلك

وصل معمله فوجده مفتوحاً كما توقع فدلف بالداخل وألقى السلام على مساعدته الحسناء رشا، ذات الجمال الأوروبي فهي تشبه بطلات الأفلام الإنجليزية الحسناوات ذات عينين خضراوين ووجه أبيض مشرق وقوام فاتن يعيبه فقط أنه ممتلئ قليلاً، كانت متبرجة تسفر عن ساقيها وتطلق العنان لشعرها رافضة حجبه بأية قيود تحت أي مسميات، استقبلته فرحة به وهرولت نحوه تسأله عن سبب غيابه يومين متتاليين، وتطمئن على صحته وأخباره وتسأله عن عدم رده على الهاتف طوال كل هذا الوقت!! ومن بين كلامها سألته عن النظارة العجيبة قائلة:

-لماذا ترتديها يا تيام؟ إنها بشعة المنظر ومستفزة جداً للسخرية

-تيام: ارتحت وأنا أرتديها جداً، فقد كنت أشعر بإرهاق ذهني وكانت عيناي لا تنفكا عن الزيغ والشتات وكأنني أرى أشياء غريبة.

-رشا: شفاك الله وعافاك أستاذي، لكن أخبرني هل أصبحت بصحة جيدة الآن؟

-تيام بعد صمت لحظات: لن أكذب عليك يا رشا قد ارتاحت عيناي بعد حصولي على النظارة، ولكن حين أنتزعها عن وجهي أعود وكأنني أرى كل شيءكرؤية طفيفة أو خيالات، لقد انتزعتها عن وجهي فور ارتدائها

لعلمي برداءة مظهرها، ولكن ذلك ما شعرت به فقد اشتريتها منذ أقل من ساعة، حاولت مراراً الاستغناء عنها دون جدوى، وكأنها هدية من السماء ولكن يتبقى شيء آخر

-رشا: وما هو ذلك الأمر يا سيدي؟

-تيام: السمع يا رشا، أشعر وكأنني أسمع أصواتاً طفيفة، أتحسس وجودها، أصوات متزاحمة ومتراكبة وحين بدأت أهدأ تأكدت أنها لكائنات ربما تعيش بيننا، فبالتأكيد ليس باستطاعة الخيال صنع كل ذلك الكم من التركيبات والكيانات والأحداث، فكل صوت يعبر عن شيء ما، و ليس ذلك فقط، ولكن أكثر ما أخشاه هو أن يرفع ذلك الحجاب الطفيف سمعاً ورؤية بيني وبين تلك الكائنات فحينها سأموت ضعفاً، لأنني لا أقوى على رؤية ما يفوق رؤية البشر ولا سماع ما يفوق سمعهم ولا إدراك ما يفوق إدراكهم، فقد خلقنا الله بصفات تناسب طبيعتنا، وأنا أعلم تماماً أن ما زاد عن حدود الطبيعة بالنسبة لنا فما هو إلا دمار وموت لصاحبه بالبطيء وإلا لرفع الله عنا الأحجبة بيننا وبين ذلك العالم الخفي الواقعي، وأكرم علينا بنعمة تسخيره لما يعلي راية الدين وينفع البشرية كلها، لقد عانيت الأمرين في اليومين الماضيين والليلة التي تسبقهما، منذ اقتحامي للمقابر مساءً، ولا أعرف كيف السبيل للعودة لسابق اتزاني وعهدي يا رشا

-رشا: ولمَ لمْ تزر طبيباً، أو حتى معالجاً بالقرآن؟ قد تكون أصبت بمس شيطاني وتحتاج مساعدة المتخصصين في هذا المجال!!

-تيام: لقد أتاني والد رؤى بصديقه الشيخ عبد الحميد زائراً ومعالجاً، ولكن للأسف، يبدو أن ما أصابني ليس مساً يعالج بالقرآن، ولكنها روح تائهة كما أخبرني صاحبها، أمهلها الله لحكمة لا يعلمها سواه عن تلك المراحل التي تتبع الموت والتي يشهدها الموتى جميعاً، وكانت لشخص قد توفي منتحراً، والأكيد أن روحه تحاول فعل أمورٍ صالحة، تكفيراً عن جرم ما فعله ومحاولة لفداء جسد صاحبها من الجحيم.

برقت عينا رشا مرتعبة مما يقول، لاحظ تيام نظراتها، حاولت الخوض حرجاً في أمور أخرى فقالت له:

- رغم تعب والدتي الشديد كنت أحضر كي لا يستمر غلق الاستوديو أياماً طوالاً وحتى أطمئن عليك والآن...

-تيام: والآن ماذا يا رشا؟ أليست أمورك على ما يرام؟ هل تشتكين من شيء أو ينقصك شيء؟

-رشا وقد بدت ملامحها حزينة جداً: والدتي يا أستاذ تيام

-تيام: والدتك، ماذا أصابها؟

لم تتمالك رشا نفسها من البكاء قائلة:

-لقد تدهورت حالتها الصحية تماماً، وأتت شقيقتي المتزوجة لترعاها بسبب انشغالي هنا بسبب غيابك، وأصبح البيت كالمستشفى ما بين الأطباء والزائرين والأدوية، وقد بدت أيامها كأوراق شجرة تساقطت جميعها إلا

القليل الذي يتساقط يومياً أمام أعيننا، ولا نستطيع فعل شيء سوى الاستسلام لقضاء الله وقدره.

-تيام وقد حزن جداً لأجلها: شفاها الله وعافاها، عودي للبيت ولازميها يا رشا وأنا سأعتمد على نفسي تلك الفترة حتى تعودين، ولا تنسين أن تطمئنينا عليها باستمرار

-رشا: حسناً سيدي وشاكرة جداً لك، ولكنني ألاحظ تعبك وإرهاقك الشديدين

-تيام: لا تبالي، كل ما أحتاجه فقط أن أنال قسطاً وافياً من النوم، هادئاً مطمئناً ولو لمدة ساعتين فقط، وبعدها سأكون على ما يرام

-رشا: إذاً اذهب لبيتك سيدي خذ قسطاً وافياً من الراحة، حتى أنهي ما يتوجب عليّ إنهاءه للاستعداد للغياب الفترة القادمة، وسأقوم بتدوين كشف كامل عن متتاليات أمور العمل حسب تخطيطي لتنفيذها كي تستطيع وحدك تنفيذها

-تيام: أي بيت ذلك يا رشا وهناك من أصبح يلازمني به يقلقني وينغص عليّ حياتي، وأردف قائلاً: سأنام هنا، سأجلس على هذا الكرسي، وأضع رأسي على المكتب وأنام فأنا لا أود العودة للبيت، وحين تنتهين أيقظيني وعودي لبيتك واعتني جيداً بوالدتك.

وغلبه النعاس بتلك الطريقة التي وصفها وحين أغلق عينيه نزع النظارة دون أن يدري، وكان يسمع مزيجاً طفيفاً من الأصوات كعادته في هذين

اليومين الماضيين، وبدأت رشا تجهيز أوراقها وترتيب إعداداتها وبعد نعاس ساعتين باغتت آذان تيام بعض الأصوات فصحى فزعاً وراح يصرخ، سمعت رشا صراخه فأسرعت نحوه، وحين رأت شحوب وجهه وعلامات التوتر تعتلي جبهته، بدأت تطمئنه وتسأله عما حدث، وقدمت له كأساً من الماء، فشرب وجلس ونسي أن يرتدي النظارة؛ فرأى طيفَ نيران متطايرة كثيرة تحوم حول رشا، فبدأ يفكر تُرى ما هذا وماذا أصابني؟ ومن ثم أدرك أنها الشياطين التي تحوم حولها، فهي رغم طيبتها إلا أنها وبجانب تبرجها تظهر من جسدها الكثير، وكانت وتفرط في استخدام مساحيق التجميل، فقد كانت سبباً كبيراً في غضب تيام على رؤى، حيث أنه كان يرى أن رشا رمز نموذجيّ للفتاة العصرية التي تجيد إبراز مفاتنها وأناقتها بالشكل الكامل وتبدو جميلة كالدمى، وكانت من وجهة نظره مشروع سيدة المجتمع الشهيرة الجريئة التي بإمكانها اقتحام جميع المجالات وإجادة الحديث عنها أياً كانت سياسية أو تجارية أو إدارة أعمال أو فنون، ولكَم تمنى أن تكون رؤى مثلها، ولكن رؤى كانت النقيض تماماً في كثيرٍ من الأمور، وجد النيران تحوم حولها بشدة تتراقص وتتمايل وربما تلامسها، حاول تيام أن يمعن النظر أكثر ولكنه لم يرَ شيئاً بوضوح، كالعادة يبدو كل شيء كخيالات ويترجمها العقل ويدركها الإحساس ويتفاعل معها الجسد وتدركها الروح، زاد حولها الصخب الذي كاد يفتك بأذنيّ تيام وخيال النيران يتزايد بشدة فلم يستطع أن يتحمل ونظر نحوها وبدون وعي راح يصرخ ألماً ورعباً،

هرولت رشا نحوه فوجدته يتهرب بعيداً عنها؛ فغضبت وعلمت أنها إحدى أسباب سوء حالته في هذه اللحظة، فتسمرت مكانها ولم تتفوه بكلمة واحدة وصُدمت مما ترى، وفجأة وجدا شخصاً يتوجه نحوهما، وحين اقتحامه الاستوديو ودنوه منهما بدأ الصخب يهدأ والنيران تتطاير وحلت بديلهما الأضواء النورانية والأصوات الملائكية الحميمة وروائح المسك، وبدأ تيام يستعيد وعيه وهرول نحو ذلك الشخص مسرعاً واحتضنه وكأنما كان غارقاً في اليم وألقوا إليه طوق نجاة، نعم إنها رؤى التي اقتحمت مجلسهما مبتسمة فعادت رشا في عينيّ تيام إلى طبيعتها، ولكنها كانت تبكي كسيرة الخاطر خجلة وحزينة على ما بدا من تصرف تيام معها، تعجبت رؤى من استقبال تيام بهمجية وعدم اتزان، فضاعت ابتسامتها وأخذ قلبها ينبض بقوة وبرقت عيناها، فقد كانت ترفض لمس تيام يدها أو احتضانها، وبعد ثوانٍ من الصمت والتدبر أيقنت رؤى أنه ليس بحالته الطبيعية فسألته

-ماذا حدث يا تيام؟

-رشا: لقد نظر إليّ بخوف، وأخذ يصرخ ويبتعد وكأنني الشيطان ولا يود أن يراني!!

-تيام: آسف حقاً يا رشا، لكنني حقاً لست بحالتي الطبيعية ولا أقصد ما فعلت.

-رشا باكية: إن والدتي تحتضر وأنا أقف هنا حالياً لمساعدتك، لا لتراني شيطاناً وتصرخ بوجهي هكذا، حقاً لقد أحزنتني فأنا أداري حزني وكبتي لأبدو طبيعية هادئة، ولكنني الآن تعبت حقاً ولم أعد أطيق.

توجهت رؤى نحوها وربتت على كتفها، ومسحت دموعها واعتذرت لها نيابة عن تيام؛ فتوجه نحوها هو الآخر واعتذر لها وأخذ يمزح معها ببعض الكلمات حتى ابتسمت ومدت يدها تمسح دمعاتها التي ملأت خديها وفجأة صاح فيها بمزاح قائلاً:

-ماذا تنتظرين أيتها المساعدة البلهاء؟ سأعد من واحد إلى ثلاثة ولو لم تعودي بسرعة البرق لوالدتك لتركتك هنا وذهبت أنا إليها وجعلتها تحذفك من بطاقتها العائلية، وتضع اسمي بدلاً منك وأجعلها تتنصل منك ولا تعترف بك ابنة بعدها على الإطلاق.

-رشا مبتسمة: شكراً جزيلاً يا تيام سأذهب لها حالاً، راحت نحو الباب مسرعة للخروج؛ فناداها تيام:

-هل ستأخذين ملفات العمل معك أيتها المجنونة؟؟

فعادت تركت الأوراق وعادت للخروج، وبعد عبورها باب الاستوديو للخارج كانا تيام ورؤى ينظران إليها؛ فراحا يضحكان على منظرها وهي تهرول فاقدة التركيز بشكل ساخر وظريف، وبعد خروجها أصبح الحبيبان وحدهما.

تيا

أمسك حسان القلادة الذهبية سائلاً تيا:

-أليست هذه قلادتك المفقودة منذ شهور؟

قالت تيا وقد استدارت لتراها، بعدما كانت تنتزع أدوات تثبيت الطرحة من رأسها:

-نعم هي، ولكن أين وجدتها؟

-حسان: وجدتها هنا على السرير، وبجانبها هذا الظرف الكبير

-تيا: ماذا تقول؟ لو لم تكن أنت من وجدتها، وأتيت بها إلى هنا فمن فعل ذلك؟

-حسان: انتظري نفتح الظرف، ربما كانت هناك أمارة أو رسالة من الفاعل!

وقفت تيا تترقب معه فتح الظرف ما بين الحيرة والقلق متسائلة من لديه القدرة على دخول البيت هكذا؟ هل كان من العمال المتواجدين نهاراً أثناء ترتيب البيت؟ فقد كان حسان قد اشترى أثاث البيت من مدة، لكنه لم يستخدمه إطلاقاً وكان مقيماً بالبيت مع والديه وإخوته، ونوى أن لا تطأ جانبيه أي قطعة من ذلك الأثاث إلا في وجود تيا، ليتشاركا البهجة والسعادة ويستقبلان حياتهما بكل جميل وجديد، حتى ملابسه نفسها فقد

ملأ خزانة ملابسه بأحدث الملابس الجديدة، كان يحتسب زواجه من تيا ومشاركتها له كل تفاصيل حياته جنة سيعيشها على الأرض، بعد لحظات من الشرود لديهما الاثنين فتح حسان الظرف؛ فوجدها مجموعة صور كما تخيلها وبدأ يشاهد الصور، فوجد مجموعة الصور تضم تيا مع شاب في الثلاثين من عمره تقريباً، شديد الوسامة، وكانت مبتسمة قريبة منه وكأنما تجمعهما علاقة حميمية وفي بعض الصور تقف بجواره، وكأنما كانا يشهدان عرساً وكان يمسك يديها بيديه، وصور أخرى كانت ترتدي أبهى الثياب وتقف بجواره في أماكن خاصة كحديقة منزل وداخل بيت وهكذا، بدأ حسان يتصفح الصور ويقلبها صورة تلو الأخرى وكلما شاهد إحداها كلما تغيرت ملامحه وضاعت بسمته وكلما نظر لتيا بعين يملؤها الشك، ولم يُجِبْ عن أسئلتها، حيث كانت تسأله عن ماذا يرى وما هذه الصور وفجأة قذف الصور في وجهها؛ فتساقطت الصور أرضاً بعضها واضح وبعضها مقلوب فنظرت نحوها وعلمت ما يدور برأس حسان، ومثلت أنها ستجلس أرضاً حتى تشاهد الصور وبسرعة البرق لقفت حقيبة يدها الصغيرة التي تحمل بها هاتفها ومفاتيحها ومرآة صغيرة وبعض النقود، وهرولت خارج الغرفة وأحكمت غلقها عليه بالمفتاح وما بين صراخه ومناداته عليها بتوتر وغيظ شديدين، وهربت خارج البيت الذي تركت بابه مفتوحاً خلفها وحين لم تجب حسان وعلم أنها سجنته داخل الغرفة وهربت، قام بمحاولة كسر الباب مرات عدة حتى نجح وكسر الباب، وخرج يبحث عنها في البيت

فوجد الباب مفتوحاً فخرج جرياً يبحث عنها في الشارع، أو المصعد أو سائرة هاربة على الطريق في هذا الوقت القريب من آذان الفجر، فلم يجدها علي الطريق ولا في أي مكان فجلس ببيته يحترق غيظاً حتى الصباح، مفكراً ماذا سيفعل وماذا حدث له حتى الصباح الباكر في السادسة صباحاً خرج من بيته وقام بقيادة سيارته ذاهباً إلى مكانٍ ما، لم يكن حسان يعلم أن تيا صعدت واختبأت على سطح العقار الذي اتخذ هو منه بيتاً، فهي كانت تعلم أنه سيكسر الباب ويخرج لملاحقتها، وإن وجدها ربما قام بقتلها وكانت تعلم أنها بهذا الوقت ستقف كثيراً على الطريق حتى يقف أحدهم لمساعدتها، ففي هذا الوقت المتأخر تكون وسائل المواصلات كالعديد من أمور الحياة لا تشهد سوى السكون التام، وكانت تراقب الطريق من أعلى العقار حتى إذا ما رأت حسان استقل سيارته وذهب حتى أدركت أن ظنونها صائبة، فقد جلس منتظراً حتى الصباح ليذهب إلى صديقه مدين الذي سيكون غارقاً في النوم بسبب انشغاله معهما طوال الليل، وحين بدأ بالتحرك وتأكدت من ابتعاده هبطت إلى الشارع واستقلت إحدى سيارات الأجرة متوجهة نحو منطقة الإبراهيمية التي كانت قد اشترت بيتاً خاصاً بها بإحدى عقاراتها الشاهقة الحديثة، وكانت قد وضعت لبيتها الأبواب والشبابيك وقامت بتوصيل المياه والكهرباء لكنها لم تتم أعمال البلاط والسباكة والديكور؛ فذهبت إلى هناك ولم تذهب لأخيها كما فعلت سابقاً.

في الثامنة صباحاً ذهب مدين إلى بيت تيام يسأله عن تيا، وبعد أن طرق الباب مرات عدة فتح تيام الباب واستقبله متعجباً:

-تيام: ماذا حدث يا مدين هل تيا وحسان بخير؟

-مدين بعد صمت لحظات: أليست تيا بموجودة هنا؟

-تيام صارخاً: ماذا تقصد؟ ماذا حدث لشقيقتي؟ وأين حسان؟

-مدين: كل خير يا صديقي، ولكن اخفض صوتك كي لا يسمعنا أحد.

-تيام بعد أن اجتذبه من يده عنوة وأجلسه بالاستقبال: لو حدث شيء لتيا لن أرحمكما أنت وحسان.

-مدين: أعدك أنها ستكون بخير يا صديقي، لا تقلق ودعنا نفكر ماذا سنفعل!!

-تيام ما بين إحساسي الخوف والغضب: إذاً أخبرني ماذا حدث يا مدين؟

فحكى له مدين ما عرفه تفصيلاً من حسان الذي أعطاه قرصاً مهدئاً وتركه لينام في بيته برعاية جده بائع الفريسكا، ليكون مطمئناً عليه وينوب عنه هو في حل تلك الأزمة التي أرهقته نفسياً ومعنوياً، وكادت تفتك به عقلاً وقلباً، رن تيام على هاتف تيا وقد كانت رفضت الرد على حسان ومدين سابقاً، وحين قامت بالرد عليه سألها قائلاً:

-أين أنت يا تيا؟ طمئنيني عنك يا حبيبة قلبي

-تيا باكية: أنا، أنا يتيمة وحيدة ولست حبيبة ولا أختاً لأحد

-تيام متحسراً وباكياً: كيف تقولين هذا يا قلب أخيك وأنت كل أهلي وأعز ما لدي بالحياة

-تيا: لا داعي لكل هذا الكلام يا سيد تيام، وأرسل لي ملابسي المتبقية لديك ولا تأتِ، فأنا لا أريد رؤية أحد

-تيام بحدة: هل جننت لتحدثين شقيقك الوحيد هكذا يا تيا؟؟

-تيا: أعلم أنك تعرف عنوان شقتي في الإبراهيمية، أرسل متعلقاتي مع أي أحد ولا تأتِ كما قلت لك.

فأغلق تيام الهاتف وقام مسرعاً لارتداء ملابسه والذهاب إليها، فاستأذنه مدين لمرافقته ليطمئن عليها فأخبره تيام أنه موافق فقط لكي يخبر صديقه حسان ماذا أودت أفعاله الحمقاء بتيا.

وذهبا لتيا، طرقا الباب ففتحت لهما بابها ودخلا، قام تيام باحتضانها فوجدها مسدلة يديها لم تعانقه هي الأخرى ولم تهتم به ولم تنظر إليه، فحدثها قائلاً:

- إلى هذا الحد غاضبة مني يا تيا؟

-تيا: لقد أصبح غضبي على نفسي وليس عليك أنت، ولا على حسان ولا على أي شيء آخر بالحياة.

-تيام: لماذا يا تيا؟ ولماذا وصل بك الجفاء إلى هذا الحد؟

-تيا: كف عن ادعاء الحميمية يا تيام فلو كنت تشعر بمسؤولية تجاهي أصلاً لما وافقت على عودتي إلى من ظلمني، إنك لم تحاسبه حتى جراء ما فعل

بي، بل كان كل ما قمت به هو سرعة التخلص من مسؤوليتي بإعادتي إليه فقط.

-تيام: أنا لم أتعجل الأمور، لكنني رفضت السماح لمن حاول الإيقاع بينكما أن ينجح في ذلك، كنت أحافظ عليك فقط وأعرف أن حسان يحبك و.....

قاطعته تيا قائلة:

-يحبني ..... وماذا؟ يحبني ويشك في عفتي ولا يثق بي، أليس هذا صحيحاً؟ وماذا تعني كلمة حب لو لم تكن الثقة العمياء إحدى أركانها يا تيام؟ ثم أردفت قائلة:

-يحبني ويشك بي ويصفعني، وينغص عليّ أجمل ليلة في حياتي كما كان مفترضاً لها، وتسيل الدموع على خديها شلالاً، ثم تنظر إلى مدين قائلة:

-وأنت، ماذا تريد؟

-مدين متعجباً: أريد معرفة الحقائق لأستطيع الإصلاح بينكما أنت وحسان يا تيا

وكانت المفاجأة أن تحدثت تيا لأول مرة في حياتها بهذا الأسلوب شبه الوقح قائلة:

-بأي صفة تبحث وتتحرى الحقائق؟

-مدين: بصفتي صديقكم جميعاً أنت وحسان وتيام وأخوكم وحبيبكم وواحد من عائلتكم

-تيا: أخ لمن يا بن بائع الفريسكا؟ هل جننت أم نسيت نفسك؟

صدم مدين من كلامها ولم يصدق أن تلك الفراشة الرقيقة تكشر عن أنيابها وتحدثه هكذا، فصاح فيها تيام قائلاً:

-تيا، هل جننتِ لتهيني ضيفك بهذا الأسلوب البشع وفي وجود أخيك؟

ردت تيا قائلة:

- أي ضيف هذا إنه مجرد خادم لحسان باسم الصداقة سعياً خلف وجبة طعام أو الحصول على ملابسه القديمة، أو اقتراض المال لعلاج جده أو شراء مستلزمات بيته، أو سداد فواتير الماء والكهرباء.

-كفي عن ذلك يا تيا

قالها مدين بصوت حزين مكسور يعتليه الألم من سوء ما عايرته به تيا وأردف قائلاً: كفي ولا تعايرين الفقير بفقره، فو الله ما عاير أحد أحداً بشيء إلا وابتلاه الله بمثل ما عاير به أخيه، وأما من ناحية الملابس المستعملة، فلم أعد آخذها منذ أنهيت دراستي، وأما من ناحية المال فسأرد لحسان كل جنيه اقترضته منه لعلاج جدي، وأما من ناحيتك فأعانك الله على نفسك وصبر حسان على ما فعلت به يا تيا.

وتركهما مدين خارجاً من بيتها رغم مناداة تيام عليه إلا أنه لم يستجب وأخذته عزة النفس، وراح يبكي ويمسح دموعه كي لا يراها أحد فلاحقته تيا قبل أن يرحل قائلة:

-أخبر صديقك أن كل شكوكه في محلها، وأنّ الصور لم تكن خدعة ولكنها توثيق لأشياء حدثت بالفعل، وأخبره أيضاً أنني لم أكن أحبه يوماً ما وأنني لن أدعه وشأنه من الآن فصاعداً وعليه أن يستعد للحرب، وأخبره أيضاً أن البقاء في دنيا الغابة التي صنعها للأقوى، وما عليه منذ الآن إلا أن يعد الخسائر.

نظر إليها مدين باشمئزاز ولم يجب على بشاعة قولها أي رد، ثم استكمل هبوطه درج السلم ورحل، فخرج تيام وجذبها من ذراعها ورغم غيظه منها إلا أنه رفض أن يعاملها بقسوة مشفقاً عليها، وغير مصدق لما يسمع وحين أغلق عليهما الباب سألها قائلاً:

-ما حكاية تلك الصور يا تيا؟ ولماذا اعترفت أنك كنت على علاقة بهذا الشخص؟ ومن أين تعرفينه ومن هو؟

-تيا بقوة وجحود: ولماذا أنكر أموراً حدثت بالفعل؟ اعلم يا هذا أنني لم أكن لأنكر شيئاً فعلته، فأنا فتاة قوية تستطيع المواجهة

-يا هذا؟

رددها تيام بتأفف خلف تيا معترضاً على بشاعة أسلوبها، ثم أومأ برأسه وأغلق عينيه ثوانٍ محاولاً إدراك ما يحدث، وبعدها بدأ يتحرك في المكان بشكل دائري حولها وسألها:

-وماذا أيضاً يا تيا؟ ماذا تخبئين في جعبتك يا ابنة أمي و أبي؟

فأجابته قائلة:

-رحمهما الله، رحلا وتركاني لضعيفٍ لا يستطيع أخذ حقي ممن ظلمني، ولم يستطع حتى تعزيزي ومؤازرتي في محنتي، وأردفت قائلة:

-اذهب يا تيام، دعني وشأني، ولا تفكر بي ثانية، فهذا بيتي ولن أبرحه مطلقاً مهما كانت الظروف والأحوال، وسأقوم بتشطيب الأعمال النهائية لغرفة واحدة مؤقتاً، سأفترش الأرض مضجعاً حتى أشتري سريراً، وسآكل وجبة واحدة باليوم، حتى أستطيع تحسين أحوالي بما يتناسب مع وضعي الجديد كشبه مطلقة، وسأواصل ساعات عملي ليلاً ونهاراً حتى أكمل إعدادات بيتي هذا حتى يصبح قصراً، وسأستبدل حسان بعملي وأمنح العمل كل وقتي؛ فنجاحي بالعمل يخصني وحدي، أما نجاحي بالزواج مادام مسؤولية مشتركة مع أحدهم فلتذهب المسؤولية ولتبقى للنفس عزتها وشموخها، وأما عنك يا تيام فلتنسَ أمري لأنني لن أتذكرك ولن أفكر بك بعد الآن، فلقد صنعت لك بخيالي ضريحاً وبكيت عليك، واكتمل اليتم وقررت مواجهة الحياة بمفردي، فإما هزمتها وإما هزمتني وفي كل الأحوال لن تكون سوى طيفٍ عابرٍ لفقيد لا يستحق حتى قراءة الفاتحة.

نظر تيام بوجهها غاضباً وحزيناً مما سمع فأدارت ظهرها نحوه فذهب إليها وربت على كتفها من خلفها، فتوجهت نحو الباب وفتحته إشارة لأخيها بالرحيل.

تيام

اقترب من رؤى وراح يمعن إليها النظر نادماً ومتحسراً، فلطالما غضب منها بالماضي كثيراً وها هو الآن لا يراها سوى مخلوقٍ عظيم يشع وجهه بالنور وتحاوطه الأنوار الملائكية، وتشعر في وجودها بالسكينة والأمان بعكس رشا التي كان يراها نموذجاً للفتاة المتفتحة العصرية، ووجدها كائناً مظلم الوجه تحاوطه النيران الشيطانية، وتشعر في وجودها بالنفور رغم شدة جمالها، زاغت عينا تيام ضعفاً وهو ينظر نحوها، فلاحظته بقوة فذهبت نحوه تسانده وتطلب منه أن يجلس حتى لا يسقط أرضاً، فقد بدت على ملامحه شدة الضعف رغم قوة بنيانه، وحين جلس طلبت منه أن يخبرها هل هناك بالعمل أمور هامة يجب الاهتمام بها، وبسرعة تنفيذها وبأنها ستقوم بمعاونته على تنفيذها حتى تصحبه للعودة لبيته بعدها، لكي تطمئن عليه، واتخذها مساعدة لبضع ساعات حتى أنهى بعض الأعمال وبعدها طلبت منه العودة لبيته، ولكنها كانت تتحسس ضعفه فصاحبته حتى دخل بيته وودعته عائدة ولكنها حين تركته لم تعد لبيتها، بل ذهبت الإبراهيمية حيث بيت تيا، وكانت الشمس تودع النهار سالكة درب الغروب، كانت تتذكر عنوان بيتها حيث أنها قد ذهبت إليها بضع مرات أثناء فترة خطوبتها لتيام، محاولة إصلاح ذات البين لخطيبها وشقيقته، ولكنها دائماً

ما كانت تفشل، وكان لذلك أثر سلبي على رؤى التي كانت ترى أنه لا يجوز للشقيق سوى احتواء شقيقته، مهما كانت الظروف والأحوال وصلت لبيت تيا وقرعت بابها ففتحت تيا، تعجبت حين رأتها من تلك الزيارة المفاجئة حتى دون اتصال هاتفي مسبقاً، وحين سألتها عن ذلك أجابتها رؤى قائلة:

-لم يكن بالأمر والوقت متسع للتفكير وخشيت رفضك زيارتي فقررت القدوم إليك

لم تجد تيا من حديثها مهرباً، ففتحت لها الباب ودعتها ليكملا حديثهما بالداخل، وحين جلست رؤى أصرت تيا على صنع مشروب دافئ يتناسب مع برودة أواخر ديسمبر؛ فأعدت القهوة لرؤى والشوكولاتة الساخنة لنفسها وحين جلستا سألتها رؤى:

-إلى متى سيظل ذلك الجفاء مسيطراً على علاقتك بأخيك يا تيا؟؟

-تيا: لا أود الحديث في ذلك الأمر وأنت تعلمين ذلك جيداً.

-رؤى: ولكن تيام ليس بخير، تيام يمر بأزمة صحية ونفسية وليس له أهل سواك يا تيا.

-تيا بسخرية: يكفي وجودك أيتها الحنونة العاشقة، التي لا زالت تحافظ عليه رغم فض خطبتهما.

-رؤى: ولكنني لا أستطيع اقتحام بيته وخدمته، ولا حتى تكرار الزيارة يومياً، صدقيني يا تيا.... أخوك بحاجة لمن يرعاه وإلا ربما ضاع منا فهو حقاً بحالة يرثى لها.

-تيا: يحتاجني الآن في أزمته فقط، أليس كذلك؟

-رؤى: عامان منذ زواجك وهو يحاول استرداد ودك، ولكنك أغلقت جميع أبواب الصلح، ليس ذلك فقط، ولكنك أيضاً تعاندين وتصنعين أموراً لا تليق برقة قلبك يا تيا، وأردفت رؤى قائلة: أعلم جيداً أنك ظلمت من أقرب الناس شقيقك وحبيبك في يوم زفافك، وأعلم حجم الحسرة والمعاناة التي عشتها وأعلم أنّ أي فتاة منا إذا ما خذلت بتلك الطريقة وكسر خاطرها وقلبها، فأنها بالطبع ستتحول إلى شخص آخر، شخص لا يعرف الرحمة ولا التسامح لأنه لم يجدها من أحدهم، ولا أنكر أنني لو كنت مكانك لربما صنعت أضعاف ما تصنعين، ولكن الأمر أصبح خطيراً وتيام ما كان يقصد التفريط بحقك بقدر ما كان يسعى للحفاظ عليك، ولكنها الحياة أولاً ثم...

ثم صمتت لحظات ونظرت بحياء أرضاً فلاحقتها تيا قائلة:

-ثم ماذا؟ أكملي حديثك لو كنت تستطيعين ولا تخافي، فلم أعد أعير الناس اهتماماً ولم أعد أبالي بسوء نظرتهم لي أو انطباعاتهم السيئة عني.

أكملت رؤى حديثها بحياء ونوع من المواجهة التي كانت تخشاها حين خطوبتها لتيام، ولكنها تتحدث الآن بصفتها صديقة لا أكثر فقالت بهدوء:

-ثم أنك المذنبة والمتسببة في كل ما حدث يا تيا، فقد علمت بشأن الشاب الغريب الذي كان برفقتك ونسيت قلادتك لديه وتصورتما سوياً، وكانت عيناك باكية حباً وشغفاً، كيف استطعت خيانة حسان يا تيا رغم حب كل تلك السنوات؟ كيف استطعت قهر قلب عاشق صبر على فراقك عامين، ولا زال متمسكاً بك، كيف خذلتِ قلب عاشق رفض طلاقك رغم قسوة ما حدث عليه، ورغم رفضه لك ولكن لا زال قلبه يحيا بك نابضاً بحبك، لماذا فرطت في شرفك وكرامتك يا تيا؟

ثارت تيا لكرامتها وصاحت في رؤى قائلة:

-حسبي الله ونعم الوكيل في كل من ظلمني، وقطع لسان من اتهمني بالباطل أو تحدث عني بسوء.

أدركت رؤى غضبها فاقتربت منها وربتت على كتفها قائلة:

-أعلم أنك لست خائنة، ولكن صمتك وعدم دفاعك عن نفسك كان خطأ كبيراً، أخبريني بكل شيء يا تيا، فأنا أثق ببراءتك وأعلم أنك أعظم زوجة وحبيبة لحسان، وأحن أخت لتيام فبرغم أنك الأكبر منه بعامين إلا أنك أخرت قرار الزواج حتى ينهي تيام دراسته، وتطمئنين عليه وتهتمين

به وكم ضحيت بسنوات من عمرك وبالكثير من مالك وجهدك لأجل النهوض به حتى أصبح رجلاً عاقلاً رشيداً ناجحاً.

تسمع تيا كلامها وتسيل دموعها شلالاً فتعاود رؤى احتضانها وتطبطب عليها قائلة:

-حسناً... لا تتحدثي إن كان ذلك يجرحك أو يزعجك.

-تيا: سأخبرك بكل شيء بشرط واحد

-رؤى مبتسمة: وما هذا الشرط وسأنفذه حالاً؟

-تيا: عدم البوح بما ستعملين، لا أود نقل حرف واحد من كلامي لتيام أو لحسان.

-رؤى: حسناً، أعدك بذلك، ولكن أخبريني بكل شيء ومن كان هذا الشاب وماذا حدث؟!!

-تيا: أسامة

-رؤى: أسامة، من يكون هذا الشخص وما حكايته ولماذا لمحت في عينيك لمعة حزن حين ذكرت اسمه؟؟

-تيا: المرحوم أسامة عامر شقيق صديقتي حسناء عامر.

-رؤى: حسناء عامر، لقد سمعت ذلك الاسم كثيراً من تيام، كان دائماً يقول أنه مطمئن عليك ما دمت برفقتها، وأنها شخصية جادة وصديقتك المقربة والأحب إلى قلبك ورفيقتك الدائمة.

-تيا: نعم إنها هي

-رؤى: وهل تسببت كل تلك الأمور في وقوعك بعشق شقيقها؟؟؟
ضحكت تيا ساخرة ودمعاتها تملأ خديها قائلة:
-أي حبّ هذا الذي تتحدثين عنه يا رؤى، أنا لم أحب في حياتي سوى حسان، فهو الذي فض بكارة قلبي وجلس به وتربع علي عرش فؤادي ولم أعرف معنى الحب قبله ولا بعده، ولم يقترن الحب بحياتي سوى باسم حسان، سأخبرك بكل شيء بالتفصيل، كنت دائمة التواجد مع حسناء بكل مكان صنعنا سوياً أجمل ذكريات لأجمل أيام عهد الصبا والعمر، وكان أسامة الرقيب علينا الذي إذا تأخرنا خارج البيت قلق علينا ووبخنا وإذا وجدنا نذاكر صنع لنا بنفسه الشاي والقهوة، لنستطيع التركيز وإذا ذهبنا لزيارة إحدى الزميلات لأسباب مرضية أو تعليمية كان يقوم بتوصلينا وانتظارنا بالخارج حتى العودة، وإن ذهبنا لشراء شيء ظل مرافقاً لنا، ربما أحبني أسامة كثيراً، ولكن حسناء كانت قد أعلمته عن حبي لحسان منذ انطلاق أول شرارة من حبه لي لأن أسامة كان....
-رؤى: كان ماذا؟ قالتها بشغف وترقب وخصوصاً عندما ضعف صوت تيا عند هذه الكلمة، ولكن تيا بدأت تجفف دموعها وتستجمع قواها واستكملت حديثها قائلة:
-كان مريضاً بالقلب، وكان وضعه الصحي يستلزم إجراء جراحة عاجلة بسبب تدهور حالته الصحية، وبالكاد استجمعوا المبلغ اللازم رغم بعض العوائق المالية والصحية له، وقام بالإشراف على الجراحة أستاذ دكتور

بالجامعة متخصص في هذا المجال وكان بمرافقته بغرفة العمليات بعض تلاميذه النجباء حديثي التخرج الذين تواجدوا لأجل مساعدة أستاذهم أولاً، و لاكتساب خبرة أكثر ليستطيعوا الاعتماد على أنفسهم لاحقاً، وبعد إتمام الجراحة بنجاح ذهب الطبيب وترك لتلاميذه أموراً اعتادوا عليها وأتقنوها سابقاً من تعقيم الجرح وإغلاقه بالطريقة الطبية المناسبة، ومراقبة الحالة لمدة أيام بصفة دورية حتى الاطمئنان عليها معتمداً عليهم في كل تلك الأمور، مكتفياً بالإشراف العام ومراقبة الحالة كل فترة ولكن من سوء الحظ أن من قام بتعقيم الجرح وإغلاقه لم يكن بالخبرة الكافية، فقد نسي بداخل جسم أسامة قطعة صغيرة من القطن الطبي.

برقت عينا رؤى وهي تنصت إلى كلام تيا وتتحسس الوجع الكائن بأسامة وأسرته!! ومن فاجعتها لحال هذا الشاب وما أصابه شعرت ببرودة بأناملها وكأنما كان الحديث عن أحد أقربائها الحميمين، ووضعت يدها على فمها تداري انفعالها، لم تدع أي شيء يقتطع حديث تيا، ولم تمنحها سوى الصمت والإنصات، حقاً جودك بأن تنصت لفضفضة أحدهم بجوارحك قبل أذنيك ولا تقاطعه، بل تدعه يرى نظرة الاهتمام بعينيك فتلك نعمة كبرى سيشكرك عليها يوماً ما، وأكملت تيا قائلة:

-نعم لقد قام الطبيب الشاب بلئم موضع الجراحة وأخطأ بسبب توتره وحدث ما كان دون قصد منه، وبعد أيام بدأ المرض يشتد بأسامة ومع عمل التحاليل والأشعة تيقن الأطباء من وجود شيء غريب داخل جسده، وكانت

الكارثة أن الجسم لم يتقبل شيئاً غريباً بداخله كعادته، وفي محاولة الجسد لتحليل ذلك الشيء نتجت عنه ديدان وانتشرت بكامل جسد أسامة ونهشته، حتى تآكلت جميع أجهزة جسده في وقت قصير وحينها أيقن هو وأسرته أنه راحل لا محالة، في تلك الآونة التي تضم صورنا كان جسد حسناء ينتفض قشعريرة مما أصاب شقيقها، وكانت تتأفف أن تلمسه حتى بيديها ولكنني كنت أقوى منها ومن أجل منحه الطمأنينة والأمل لم نتعامل معه بمبدأ الوداع، فكنا أنا وحسناء ندعي أننا بحاجة لزيارة أحد الأماكن الجميلة مثلاً وكنا نخرج سوياً قبل أن يشتد عليه المرض ويستسلم للموت، فكنا نبحث عن أي فرصة لمنحه ابتسامة ربما لن تتكرر لاحقاً، أو لحظات حميمية تحتضن روحه وتشعره بأنه قد نال قسطاً كافياً من المرح بهذه الحياة، كنا نصنع له وداعاً يليق بطيبة قلبه، ولكن بطريقتنا نحن، وبسبب اشمئزاز حسناء من ابتلائه كان كلما حاول الوقوف أو السير واحتاج المساعدة كنت أسبقها، وأفعل ذلك وفاءً لذلك الملاك الذي لم يأخذ في حياتي سوى دور الأخ، وكأنه تيام فكنت دائماً ما أسبق حسناء لخدمته والأخذ بيديه، وكنت سعيدة بذلك بنفس الطريقة التي تحملها صورنا وكانت لمعة الحزن بعيني ما هي إلا احتباس دموعي كي لا يراها، وكنا نلتقط سوياً عشرات الصور معه، لتسجيل أيامه ولحظاته الأخيرة بيننا بهذا الشكل الحميمي، وكنت أرافقه كثيراً مع حسناء حين كان ينشغل والديها بأمور العمل والبيت، ويوليانها مسؤولية رعايته، لحظات صمت من تيا

وعاودت الدموع مجراها على خديها وضاعت بين البكاء معالم صوتها وهي تقول:

-ومات أسامة ونحن جالستان بجواره نقرأ القرآن وندعو رب المعجزات أن يشفيه ويخفف آلامه، وبعد عام من وفاته تزوجت حسناء ولم أعد أراها كثيراً وقبل زواجي بأيام ذهبت إليها ودعوتها لحضور حفل زفافي، جلست معها كثيراً بذلك اليوم وتحدثنا عن أسامة وعن الذكريات وعندما جلبت الصور أثناء مقعدنا طلبت منها الصور الخاصة بي وأخبرتها أنها ستتواجد ببيتي ومعي دائماً، فوافقت بعد عناء ولكنني ما فعلت هذا إلا لجلب صوري من بيتها وخاصة أنني لا أريد أن تكون صوري بين يدي زوجها، فهو وبرغم كونه زوجاً لصديقتي إلا أنه بالنسبة لي مجرد رجل غريب، ولا أود أن يرى صوري وخصوصاً أن حسناء كانت حسناء اسماً فقط، ولكنها كانت عادية الشكل تكاد تخلو ملامحها من الجمال الظاهري، مما كان يجعل كل من يرانا سوياً يود التواصل معي ولا يهتم بشأنها، وخشيت إن رأى صوري زوجها أن يشرد بذهنه أو حتى يضعها معي في مقارنة؛ فجلبت الصور تحفظاً واحترازاً من كل تلك الأمور.

-تحملت كل هذا العبء وحدك يا تيا؟؟ وقبلت الظلم من أخيك ومن زوجك رغم أنك صنت وجوده حتى في أدق التفاصيل؟!!!

قالت رؤى ذلك باكية حينما سمعت قصة تيا ولكنها عادت تسألها

-وما دام الأمر كذلك لماذا لم تخبري حسان بتلك التفاصيل؟ ولماذا قبلت بالظلم؟

-تيا: لن أقدم مبررات لحسان لأنال منه الشفاعة، أو حتى لأطلب منه أن يثق بي فله الخيار إما أن يثق بي وبحبي له وإما أن يتركني وشأني، فما فائدة الثقة إن لم يكن منبعها القلب وليست فقط الدلائل والبراهين.

وأردفت قائلة: هذا بشأن حسان، أما عن تيام شقيقي وظهري وسندي بهذه الحياة، فقد تركني ولم يتحرَ الصدق ولم يدافع عني وشك بي هو الآخر مثل حسان، أخبريني يا رؤى ماذا ستفعلين لو كنت مكاني؟

-رؤى: سأفعل ما فعلته أنت وأكثر ولكن ليس بهذا الأسلوب

-تيا: أي أسلوب تقصدين؟

-رؤى: أقصد حفلات البث المباشر التي تصنعينها عبر جميع برامج الإنترنت، والشعر الأصفر الثائر المستعار والملابس الشفافة وجلوسك ببيتك وحيدة مما يجعلك عرضة للقيل والقال خصوصاً بعد أزمتك، فبرغم ثقتي الكبيرة بك يا تيا إلا أن تصرفاتك توحي للناس أنك لست على حق وأن جميع ظنونهم نحوك صائبة

-وهل بعدي عن فعل كل تلك الأمور سيعيد ثقة الناس بي؟

هكذا قالت تيا رداً على سؤال رؤى وأردفت قائلة: اعلمي يا رؤى أنه طالما فارقت زوجي يوم زفافي، فلن يكون حصادي من ألسنة الناس سوى

الطعن والسب والقذف، ومهما حاولت تغيير كل تلك الأفكار؛ فلن أنجح أبداً.

-رؤى: أعلم جيداً ما تقصدين ولكن الحرام بيّن والحلال بيّن وبينهما أمور متشابهات فاتقوا الشبهات

-تيا: وكيف أتقي الشبهات في مجتمع زائف كهذا، يدعون الحب وهم مستغنون، يدعون السلام وهم للحرب قائمون يدعون العفة وهم للأعراض طاعنون وللعورات متتبعون ويصدقون مالا يرون ويظلمون دون أن يتحروا الصدق وقبل أن يدركوا؟

-رؤى: أنت مخطئة يا تيا، كل ما بالأمر أن الناس ترفض الخطأ، تتحرى عنه وتقاومه إذا ما سمعت به وهذا شيء طبيعي جداً، ولكن غير الطبيعي أن تتقبل الناس الخطأ، وتلتفت عنه وتتركه يستمر حتى يصبح لعنة تحرق نيرانها الجميع

-تيا: هل تقرئين القرآن الكريم يا رؤى؟

-رؤى: طبعاً وأحفظ أجزاءً كثيرة منه وأحاول حفظه كاملاً.

-تيا: إذاً أخبريني من خلال قراءتك له، ماذا عن أمر اتهام الرجل لزوجته بالزنا؟

-رؤى: لا يجوز إثبات واقعة الزنا دون وجود أربعة شهود

-تيا: وماذا عن حالة الزوجة المتهمة؟

-رؤى: يجب أن يكونا في حالة لا تسمح أن يمر الخيط من بينهما، وبمعنى أدق حالة التصاق كامل.

-تيا: إذاً أخبريني، لماذا يلتف الناس حول من يتهم امرأة مالم يأتهم بالشهود والدلائل والبراهين؟ ومنذ متى كانت الصور والخطابات مجهولة المصدر دليلاً يؤخذ به؟

-رؤى: أنت محقة، لقد أصبحنا في زمن التطور التكنولوجي وأصبحت الفتنة أقل شيء يمكن تنفيذه.

-تيا: ومن للمظلوم إذاً؟

-رؤى: الله

-تيا: مادام الله هو النافع والضار، إذاً فلماذا تتلين عليّ أخبار بعض البشر وتظنين أنني سأسمح لهم باقتحام حياتي مرة أخرى؟

تعجبت رؤى مما سمعت وسألتها:

-أي بشر تقصدين؟ إنه أخيك يا تيا، ألا تنوين على مساندة أخيك في محنته والوقوف إلى جواره؟ لقد ظننت أنك ما بحت إليّ بقصتك كاملة إلا لأنك اعتبرتني أختاً لكما، ولنفكر سوياً ماذا ستفعلين لنعبر هذه الأزمة بسلام

-تيا: لا تتحدثين عن الأزمات فلقد مررت بها وتجرعت كؤوس مرارتها سابقاً.

أما الآن فأنا لم أعد أهتم بأي شيء، وأشارت إلى رؤى قائلة: انظري جيداً حولك يا رؤى وأخبريني، ما رأيك بهذا البيت؟

-رؤى: ما شاء الله بيت بديع الجمال وكل شيء فيه من ديكورات وأثاث تنم عن مدى السخاء المادي الذي قمت به حتى أصبح هكذا

-تيا: ليس البيت فقط ولكنني أمتلك مشروعاً خاصاً، وهو مكتباً لهندسة الديكور

-رؤى: تقصدين مكتبان فلقد علمت أنك اشتريت المكتب الذي كان يعمل به حسان رغم عدم احتياجك له، ولكن لتقهري حسان فقط

-تيا: نعم اشتريته وفعلت ما هو أكثر من ذلك

أغلقت رؤى أذنيها بيديها، فإنها حقاً لم تعد تود سماع المزيد، أصبح كل ما يهمها هو مغادرة بيت تيا؛ فوقفت وسارت نحو الباب وقبل أن تخرج سألت تيا: ما دمت لا تنوين السماح لماذا خضت معي كل هذا الحوار وهذه المرة تحديداً؟

-تيا: لأضع النقاط فوق أحرفها يا رؤى

-رؤى: ماذا تقصدين؟

-تيا: أقصد أن أقول لك أنني لست مستعدة لتحمل مسؤولية أحد، وما دمت غارقة بحب تيام هكذا فلتتولين أنت مسؤوليته، وأود عدم الخوض في هذا الموضوع لاحقاً، لأنه بات يزعجني حقاً ولن أضيع وقتي به مرة أخرى.

-رؤى غاضبة: اعتني بنفسك جيداً يا تيا، وأما عن تيام فأنا لن أتركه وحيداً حتى يسترد عافيته، وأما عني فآسفة لنفسي ولحسن ظني الذي خيل إليّ أنك لا زلت آدمية مثلنا تحمل بصدرها قلباً ينبض لمن يحمل بعروقه

دمها حباً، وتحمل برأسها عقلاً يخبرها أن قطيعة الرحم ما هي إلا قطيعة لله، وأن من لم يستطع السماح لا يستحق الحياة وأن من تتبرئين منه اليوم هو الذي سيحملك للأطباء سعياً إن مرضت غداً، أعانك الله على نفسك وعلى قساوة قلبك يا تيا، وهبطت رؤى المصعد وكل ما يشغل بالها هو تيام كيف تسانده حتى تعبر به محنته.

جلس تيام وحيداً ببيته في متحفه المتواضع بين مجموعة اللوحات وبدأ ينظر إلى صورة تلك الغزالة التي وقعت فريسة بين مجموعة فهود، وكانت تلك الصورة من أفضل الصور الملتقطة في العشر سنوات الأخيرة، شرد تيام بذهنه نحو مصور هذه الصورة الذي سمع عنه أنه راح في حالة من الاكتئاب على إثرها، فقد كانت تلك الغزالة قادرة على الهرب والنجاة بعمرها ولكن ما يقال أنه حين داهمتها الفهود كانت تلاعب صغارها فقررت التضحية بنفسها حتى تلهي الفهود وتمنح صغارها فرصة للهرب وبرغم قبضة أحد الفهود علي رقبتها إلا أنها كانت تنظر إلى صغارها مودعة إياهم، كان آخر ما يشغل بالها الاطمئنان عليهم حتى وهي في قبضة الموت، حدّق تيام النظر في عينيّ الغزالة، فشرد بالاً وبدأ يغفو حتى غرق في النوم جالساً؛ فشعر وكأنه قد ذهب بجسده وجوارحه إلى مكان آخر أقلقته الأصوات الغريبة والصياح من نومه، فأفاق ونظر حوله لعله يدرك ما يحدث فوجد نفسه واقفاً بين مجموعة من الناس يرتدون ملابس غريبة بعضها فاقع اللون وبعضهم شبه عارٍ، ذوي بشرة سمراء وأجساد خشنة بعض الشيء

يتناقشون بحدة وكأنهم يدبرون أمراً، وفجأة ذهب بعضهم وحطموا باب أحد البيوت وتسللوا بداخله وأخرجوا رجلاً من الواضح أنه كان مختبئاً منهم في بيته على أمل تدبير خطة للهروب؛ فقبضوا عليه ونجحوا في صد مقاومته لهم التي لم تدم كثيراً، حتى إذا ما خرجوا به إلى الشارع حيث كان ينتظرهم أناس آخرون، فقام أحدهم بضربه على رأسه بآلة حادة فسقط أرضاً، اقترب منه تيام ولكنه لم يشعر بإدراكهم له أو بتحسسهم لوجوده وبعد سقوط الرجل أرضاً كان بعض الرجال يحملون العصي والسكاكين والآلات الحادة، ونظر تيام بينهم فوجد كيفن كارتر يحمل كاميرته ويقف بينهم فأسرع نحوه و أمسك به، وسأله عما يحدث وأين نحن؟ فأجابه كيفن قائلاً وهو يتابع المشهد ولا ينظر إليه:

-إننا الآن بأواسط الثمانينات وهنا في العاصمة جنوب أفريقية جوهانسبرج، وها هم يعاقبون أحد الخونة حيث قد افتضح أمره بينهم

-تيام وهو يلاحق كارتر جرياً: من هذا الرجل وكيف خانهم؟

-كارتر: إنه يسمى ماكي سكوزانا، وهو متهم بإقامة علاقة مع زوجة ضابط شرطة، ثم صمت تركيزاً مع الحدث، ولم يمنح تيام أية أجوبة أخرى

كانت الناس تلتف حول ذلك الرجل بشكل دائري، ويشاهدون كيف يتم تعذيبه ومن بينهم ترى بعض المحررين الصحفيين والمصورين البيض غير المرغوب بوجودهم في هذا الوقت العصيب، فكان السود يخرجون أسلحتهم البيضاء فجأة محاولين تمزيق أبدان أولئك البيض وخصوصاً بسبب العداء

بسبب الفصل العنصري أو ما يسمى الأبارتايد، ذلك النظام الذي كان يهدف إلى خلق إطار قانوني يحافظ علي الهيمنة السياسية والاقتصادية للأقلية ذات الأصول البيضاء بداية من عام **1948**، حتى تم إلغاء النظام بين الأعوام **1990** -**1993** وأعقب ذلك انتخابات ديموقراطية عام **1994**، كان كارتر برفقة أصدقائه المحررين يتابعون بعضهم بشغف وتلاشياً للطعنات المباغتة التي ربما تأتي أحدهم سهواً ممن يقف بجواره كما حدثت عدة محاولات وتم تفاديها، بدأ الرجال ينهالون ضرباً على ماكي سكوزانا وأخرج بعضهم أسلحتهم البيضاء وتناوبوا عليه الطعنات بمناطق متفرقة من جسده، كان تلو كل طعنة يحاول النهوض والفرار وكلما حاول الوقوف على قدميه كلما أبرحوه ضرباً، ثم أتى أحدهم بإناء بلاستيكي كبير مليء بسائل الكيروسين، وسكبه عليه ولم يأبه لصراخه ولا لجسده الممزق، ثم أشعل عوداً من الثقاب وقذفه عليه؛ فاشتعلت النيران بجميع أعضاء جسده فنهض واقفاً وحينها فقط ابتعدوا عنه، وازداد صراخه بشدة وراح يركض لعله يجد من النار سبيلاً دون جدوى، كان مشهداً مريعاً لم يصدقه عقل وظل كارتر يتبعه جرياً حاملاً كاميرته ليكون أول من قام بتصوير ذلك الأسلوب الوحشي وهو الإعدام علناً بالحرق، كان جسد سكوزانا يحترق وتحترق معه الحياة بأكملها بعيني كارتر الذي كان رافضاً لنظام الأبارتايد، والذي كان يتعجب بسبب تقاعس والديه عن القتال ضد

هذا النظام وخصوصاً أنه كان يشهد غارات الشرطة لاعتقال السكان السود الذين كانوا يعيشون بجواره حين كان طفلاً، اختنق بكاءً وغضباً حين وجد جسد سكوزانا يتفحم أمام عينيه، وبعد جريه مسافة ليست بطويلة أردته النار محروقاً، وبدأت تلتهم كامل جسده وليس جلده فقط وحين فشل تيام في الزج بكارتر لإنقاذ سكوزانا _فقد كان تيام روحاً بلا جسد يستعن به على الدفاع والبطش ومد يد العون_ فوقف بجانب سكوزانا مباشرة وحين رآه يتفحم سقط بجانبه من شدة الصدمة، وحينها شعر بأنّ النار قد تحرقه هو الآخر أيضاً فحاول الفرار، فلم تقوَ قدماه على حمله؛ فجثا على ركبتيه زاحفاً وصارخاً بكلمة آآآآآآه، وراح يتحسس الأشياء التي حوله ليستند عليها حتى يستطيع النهوض واقفاً؛ فوجد نفسه يستند على حائط أسود مليء بالصور، فأدرك أنه قد استفاق وعاد لبيته واستكمل زحفه جثواً حتى يستند على ذلك الكرسي الضخم، وحين اقترب منه وجد شاباً يجلس باكياً دافناً رأسه بين ركبتيه، ويلف ذراعيه حول رأسه فثبت أمامه وبرقت عيناه وحين استوقف عن زحفه، وأمعن النظر إليه رفع الشاب رأسه ليجده كارتر ووجد وجهه شاحباً، كأنما تجمدت ملامحه وفقد جسده نضارة الماء به فصار يابساً متخشباً، ومن العجيب أيضاً أنّ المتساقط من عينيه حين بكائه لم يكن دموعاً، بل كان نملاً!! وكانتا تلتفا حول عينيه دائرتان زرقاوان فاقعتا اللون نوعاً ما؛ فاقترب منه تيام الذي استشاط غيظاً ولم يفكر سوى بما حدث، وحين نظر إلى كارتر وتذكر بأنه لم ينفك عن

تصوير المكلوم سكوزانا، فنهض واقفاً دون وعي منه وهجم عليه وأمسكه من شعره وبدأ يسحله أرضاً ومن شدة خوفه من مقدرة كارتر المجهولة التي ربما تضاهي مقدرة الجن على أمور كثيرة لم ندركها نحن والتي ربما ستكون سبباً في هلاكه وجد كارتر يحاوره قائلاً:

- دعني ولا تفعل بي هكذا يكفيني تلك الحالة السيئة التي مررت بها، وما كنت أشعر به من مرارة وحسرة

-تيام: لن أصدقك فقد رأيتك بعيني هاتين تصور الرجل لتفز بالسبق الصحفي وتنال المزيد من الشهرة دون أن تمد له يد المساعدة

-كارتر بعدما تركت يدا تيام المرتجفتان شعره: لقد روعت بما قمت لفعله كما روعت بما قاموا بفعله، ولكن بعد فترة وحين بدأ الناس يتحدثون عن الصور شعرت أنني لم أكن سيئاً حين فعلت ذلك، وحيث أني كنت شاهداً على تلك الفظاعة، فكان يجب عليّ توثيقها ونقلها بكامل تفاصيلها إلى الناس.

بدأ تيام يهدأ ويسترد اتزانه نوعاً ما، وأشفق على كارتر الذي عاصر كل تلك الأزمات، وكان شاهداً عليها فأمسك بيده وأوقفه، وبعد صمت ثوان نظر إليه متعجباً وسأله:

-ماذا حدث؟ لقد سحلتك على الأرض دون أن أدري وليس ذلك غريباً على من طار عقله جنوناً، ولكن الغريب كيف أنك استجبت للسحل

معي؟ كيف تركت نفسك تتألم وقد شددتك من شعرك الطويل بقوة وعنف

-كارتر: وما الغريب في ذلك؟ فأنا وكل من يظهر بهيئة بني آدم ينطبق عليه كل ما ينطبق على بني آدم، وإذا ظهر بصورة حيوان فإنه أيضاً ينطبق عليه كل ما ينطبق على الحيوان، وقد تكون سمعت يوماً ما عن أحدٍ قتل هرة مثلاً وبعدها أصيب بالأذى، ليدركوا بعدها أن القتيل كان من الجن ويظهر لنا بتلك الهيئة مثلاً، أي أنك تستطيع لمسي وجرحي وضربي، أو حتى قتلي ما دمت أظهر لك كآدميّ ولكنني أعلم أنك لن تفعل بي هكذا

-تيام: هذا عنك، ولكن أخبرني كيف استطعت أنا الوصول إلى هناك؟ وكيف عبرت الحدود والزمن والأسوار؟

-كارتر: كما أخبرتك سابقاً أنك حين تذهب إلى هناك فإنك تذهب بجوارحك فقط، وليس بجسدك.

-تيام: إذاً أخبرني كيف؟

-كارتر: لقد توحدت أرواحنا وأجسادنا منذ التقينا، فأنا بمجرد تفكيري بأي شيء ستذهب بجوارحك معي إليه وترى ما أرى وتستشعر الأحداث كما أستشعرها وكأننا شخص واحد.

-تيام غاضباً: نعم، وترفع عني الأحجبة فأستشعر وجود الملائكة والشياطين وأسمع أصواتاً من العالم الآخر، وأموت تدريجياً بسبب حماقتك أيها الملعون المهزوم.

غضب كارتر مما سمع وشعر بإهانة بالغة وأدرك معايرة تيام له فأومأ برأسه وحدثه قائلاً:

-لقد أمهلني الله فرصة ربما لفعل خير أو لاستغلالها للتكفير عن أخطائي وللخلاص من الجحيم الذي كنت أحيا به، والذي كان ينتظرني بقبري والذي ربما كان مقدراً لي بآخرتي، لا تتركني وحيداً فأنا أحتاج مساعدتك يا تيام.

-تيام: فلتذهب وحدك إلى الجحيم الذي ينتظرك، أما أنا فأود أن أعيش حياتي بسلام، لا أود أن أكون مثلك

-كارتر: ومن أدراك أنك لن تكون مثلي وتواجه نفس مصيري يوماً ما؟ ثم أردف قائلاً: اعلم يا تيام أنّ هناك كثيرين جداً مثلي مصابين بحالة شديدة من الاكتئاب، يعانون من الوحدة برغم زحام الناس حولهم، يحتاجون إلى من يحتويهم، يضمهم، يربت على أكتافهم ويطبطب عليهم، يعتصر أوجاعهم بتلك الأحضان التي تفتت تلال الهموم العالقة بقلوبهم، حين يقال لأحدهم لا تبالِ بكل هذا العالم، ولا تحمل له هماً فأنا معك، وبعد صمت ثوان أردف كارتر قائلاً: هل تتذكر ذلك الشاب الوسيم الذي ألقى بنفسه من فوق برج القاهرة منذ أيام؟؟

-تيام: نعم، إنه نادر طالب الهندسة

-كارتر: حسناً، سأحدثك عنه بما أنه آخر المنتحرين الذين أعرفهم، فهل تعلم عنه شيئاً؟

-تيام: لا أعلم عنه الكثير، فأنت تعلم أن المتاجرين بأحزان الناس من أجل الشهرة كثيرون ومعظمهم يتحدثون دون تحرٍ للكلم ودقة المعلومات مسبقاً

-كارتر: ماذا لو علمنا حجم الأزمة والمعاناة التي عاشها وجعلته يفكر في الانتحار؟ لماذا يقتل الناس بعضهم بالكلمة أحياناً، أليست الكلمة المتسببة في جلب الحزن والاكتئاب والقتل بالبطيء أشد قسوة من القتل رمياً بالرصاص؟ لماذا نبدع في النهر ولا نجزل العطاء؟ لماذا نبرع في البخل ونفخر بالجفاء؟ أليست بسمة المرء في وجه أخيه صدقة!!، إذاً فلماذا يجحدون؟

وشردا بذهنيهما فوجدا أنفسهما يقفان فوق برج القاهرة، ووجدا المهندس الشاب يقف رغم وجود بعض الناس حوله يختلس نظرات مراقبة نحوهم تنم عن نواياه حتى أدرك أن صديقه مشغولٌ بهاتفه، ربما كانت محادثة فقفز للأعلى انتفض تيام وهرول نحوه؛ فألقى الشاب بنفسه من فوق البرج فأمسكت قطع الحديد المتلاحمة بردائه الأسود، وكأنما يريد القدر أن يمنحه فرصة أخرى للحياة، فأبي استثمارها مقتنعاً بما يفعله، فأتاه صديقه هرولة بين صراخ الموجودين محاولاً إمساكه، فلم يستطع وحاول تيام إمساك يده وهو يعلم أنه عديم القدرة على التفاعل الجسدي، ولكنه ظل ممسكاً بيد نادر، فوجده يمسك بالحديد بيد ويفلت رداءه العالق باليد الأخرى، حتى انفك الرداء وهوى جسد ذلك الشاب المسكين بالهواء وتبعه

تيام ممسكاً بيديه، وحين نظر داخل عينيه رأى نظرة الفزع طوال فترة سقوطه التي كانت ورغم كونها ثواني معدودة، إلا أنها تحمل بطياتها حكايات وعثرات وأوجاع وغموض عمر كامل للإنسانية كلها وليس لهذا الشاب فقط حتى اصطدم جسده بالأرض وسالت دماؤه عليها، فشعر تيام أن دماءه تسري كسيلٍ عارم، حتى صنعت نهراً كاد يبتلعه غرقاً فأفاق صارخاً يحاول العوم ظناً منه أنه غارق ببحر الدماء، ليجد نفسه جالساً ببيته مع كارتر الذي يدرك ما يحدث له جيداً، فذهب في غيبوبة من هول ما رأى وحين غاب عن الوعي شعر أنه يحيا بعالمٍ آخر، وأنه يجلس أمام نافذة إحدى البيوت الغريبة منتظراً شخصاً، وفجأة سمع صوت خطوات أحدهم تأتي من خلفه؛ فاستدار نحوه وبدأ يمعن النظر إليه ابتداء من مقدمة حذائه صعوداً للأعلى، حتى إذا ما وقعت عيناه علي وجه ذلك الشخص فوجده المهندس نادر، فهرول نحوه مسرعاً واحتضنه بحزن قائلاً:

- نادر، سامحني يا عزيزي فقد حاولت إمساك يدك ولكنني لم أستطع، يعز عليّ فراقك يا نادر فبرغم عدم معرفتي بك سابقاً إلا أنني في تلك اللحظات التي رافقتك بها أشعر وكأنني عاشرتك عمراً كاملاً فقد كان في كل شيء من تفاصيلك حينها قصة ألم ووجع تحتاج لدقة وصفها حواراً ممتداً لعشرات السنين.

فرد عليه نادر قائلاً:

-أنا الآن بين يدي ربي يا تيام، ولن تستطيع فعل شيء لي سوى الدعاء فرجاء أبلغ أحبتي سلامي وأخبرهم أن لا ينسوني بصالح دعائهم دوماً.

فبكى تيام حين نظر إلى عينيه، وحين سمع صوته وأدرك كل ما خلف هذا الصوت من ألم ومن كلام لا يقال؛ فحاول تيام تجاوز ذلك الموقف مازحاً معه كي لا يرى دموعه قائلاً:

-أخبرني يا نادر، ما هو سبب إصابة الكثير من طلاب كلية الهندسة بالاكتئاب؟ ألم يكفيكم أنكم اجتهدتم وظفرتم بالوصول إلى إحدى كليات القمة، والتي تصنع لصاحبها شأناً ومستقبلاً عظيماً؟

فنظر نادر أرضاً وكأنه يسترجع ذكرياته، ثم تبسّم قائلاً:

-سأخبرك عن السبب يا تيام لعلك تستطيع فعل شيء، فأما عني فقد رحلت وانتهى أمري للأبد، ولكن المشكلة أنّ تلك المأساة لا زالت مستمرة وتلازم الكثيرين، وبدأ يحكي التفاصيل قائلاً: عليك أن تتخيل مدى صعوبة المواد التي ندرسها، والتي تبلغ حوالي عشر مواد ثقيلات جداً وكل مادة بها عدة فصول تسمى شابتر، وبكل شابتر حوالي ثلاثين مسألة وأيضاً يشرح لنا الدكتور قرابة عشر مسائل، ويشرح لنا المعيد قرابة عشرين مسألة، وإن فكرنا في الحصول على كورسات إضافية نأخذ بالكورس حوالي خمسين مسألة، والغريب بالأمر أننا لو التزمنا بإلمام وإجادة مذاكرة تلك المواد قد نتفاجأ في الامتحانات بأسئلة أخرى بعيدة كل البعد عن كل ما تعلمنا، وكأنما يتبارى بعض الدكاترة ـوليس جميعهم

بالتأكيد_ حين وضع الامتحانات باستعراض خبراتهم الهندسية في اختراع أسئلة بعيدة تمام البعد عن كل ما درسنا،

نظر تيام نحو نادر باستغراب متعجباً لما يسمع، فشعر نادر بما يود أن يقوله فاقتطع صمته قائلاً:

-نعم، إنه الأمر الواقع حقاً يا تيام.

ثم صمت لحظات وكأنه يتذكر شيئاً، ثم ابتسم لتيام قائلاً: تخيل يا تيام أنّ هناك دكتوراً مدرساً لمادة عاير دكتوراً آخر واتهمه بعدم الفكر والسطحية بسبب أنه وضع بالامتحان مسألة من المنهج.

فتبسم تيام مستنكراً ما يحدث من بعض المسؤولين وواضعي الامتحانات هكذا وأخذ يفكر كيف يفصح عن تلك المشكلة ويتحدث عنها، وما بين لحظات متضاربة ما بين الغفوة والقلق، ظل تيام نائماً مكانه لم يبرح الأرض وكأنما سقط من أعلي البرج أيضاً برفقة نادر، فحاول كارتر إسناده للجلوس، لكنه كان ينبطح أرضاً حتى أسنده على الحائط وأتاه بكوبٍ من الماء لعلّه يستعيد وعيه، وظل ممسكاً بتيام ممعن النظر إلى عينيه الذابلتين المطفأتين، وراح تيام ينظر إليه ويتخيل أنه السبب في رؤيته لكل ذلك الكم من الوجع والحسرة التي رآها في عينيّ المهندس الشاب حين سقوطه، وفزعه حين رآه يصطدم صريعاً بالأرض، فاستشاط غيظاً وبدأ يستجمع قواه فأمسك بكوب الماء من كارتر وقذفه بالماء على وجهه ليتسلل الماء داخل عينيه وحينها كسر الكوب بضربه في الحائط وحمل الجزء الأكبر من

حطامه وأسرع نحو كارتر ليستغل ظهوره بصورة آدمية ويذبحه، وينجو من كل تلك المصائب التي انتابته بسببه للأبد، ولكن كارتر كان يتحسس غدره لشدة ما أصابه وحين اقترب منه تيام نظر نحوه بقوة فطارت من عينيه شرارتان ناريتان ضئيلتان، وتحولتا فجأة إلى قوة هائلة مثل الريح ألصقت تيام بالجدار الذي خلفه، وبعدها هدأت حتى سقط أرضاً فقام رغم شدة خوفه وهرول نحو الباب ودلف خارجاً، فوجد كارتر يتبعه شبه مبتسمٍ، سائراً نحوه على الهواء بدون خطوات ودون أن تلامس قدماه الأرض مثلما رآه أول مرة، لم يستسلم تيام ونظر خلفه وحين رآه يتبعه مبتسماً بسخرية حاول الفرار، فنظر نحو المصعد الكهربائي الذي نادراً ما يعمل وكثيراً ما يصاب بأعطال، واقترب منه ثم خشي استخدامه عسى أن يصنع منه كارتر سجناً ويمسكه به؛ فالتفت نحو السلم العادي وحاول الهبوط واستدار بوجهه ليراقب كارتر فسقط على الدرج، وظل يزحف سقوطاً حتى آخره فوجد كارتر يتبعه أيضاً ناظراً إليه، فوقف وأخذ يهبط الدرج حتى الدور الأرضي ودلف داخل غرفة الحارس عم كامل، فوجده يجلس على أريكة ملتحفاً بغطاء يقيه برد الشتاء القارس، ويشاهد برامج التلفاز فدخل يستجديه قائلاً:

-أدركني يا عم كامل، قف بجانبي حتى أنجو من هذا الأذى أرجوك.

فوجد عم كامل برغم مقعده وفتح عينيه إلا أنه متجمد كالشمع لا يسمع ولا يرى، فأخذ تيام يلطم خديه، ثم قفز خارج الغرفة ملامساً كارتر الذي

يتبعه، وراح نحو باب المخرج العمومي للعقار وحاول الهروب خارجاً، وحين اقترب منه وجد الباب قد اختفى، وبدأ يستبدل بجدار من الطوب الإسمنتي الذي لن يستطيع تحطيمه أو الفرار منه؛ فأخذ يبكي مستسلماً وحينها كشر كارتر عن أنيابه وذهب نحوه وأمسكه من ذراعه وبدأ يسحبه منه صعوداً إلى بيته بالطابق الثالث العلوي، حتى دخلا بيته وقذفه كارتر بقوة فسقط أرضاً، ثم أغلق الباب بقوة دون أن يلامسه أحد، وراح كارتر يحدّث تيام قائلاً:

-لا تقلق بشأن عم كامل فهو بحالة جيدة ولتعتبره كان نائماً فحسب،

رهبة شديدة انتابت تيام وكان يرتجف خوفاً ثاقب النظر إلى كارتر عاجزاً عن التفوه بأي كلمة، بل كان كل ما يفكر به هو كيف سينتقم منه كارتر جراء محاولته قتله.

فباغته كارتر بالرد قائلاً:

-لا تقلق فلن أؤذيك فأنا ما جئت إلى هنا وما علقت روحي باقية بالدنيا إلا مهلة وأملاً بفعل الخير الذي ينجيني من الجحيم وليس للشر والأذى.

نظر إليه تيام فوجده يسير على الأرض حتى إذا وصل إلى الحائط ظلّ يستكمل سيره، وكأنما لا يزال يسير على الأرض، فوقف أفقياً على الحائط وراح يستكمل سيره بشكل دائري عبوراً بسقف البيت مروراً بالجدار الآخر، ولكم تعجب تيام من هذا كثيراً فكيف يسير على الحوائط والأسقف وكيف يمكن أن تلتصقا قدماه بهم سيراً وتكن رأسه مقلوبة

عكساً فتكن هي السفلى المتدنية؟ أي قانون للجاذبية هذا الذي يتفاعل به، وفجأة وجده تيام واقفاً خلفه صارخاً فيه، حتى كاد صوت كارتر يخترق أذنيه من شدة الصراخ قائلاً:

- هل هذا هو جزاء الإحسان إليك أيها الآدمي؟

-تيام: وماذا تريدني أن أفعل؟ هل تعتقد أنك محسن هكذا أو داعياً للخير وناصراً للسلام بعد كل ما فعلته بي؟

-كارتر: قد أكون أخطأت دون قصد مني، فأنا أعرف جيداً ما يحمله قلبي وما أنوي فعله لكنني لم أتخيل أبداً أن توحدنا سوياً سيؤذيك إلى كل هذا الحد

-تيام: ماذا تقصد؟

-كارتر: أقصد أن ظهوري لأي أحد آخر لن يصبه بضرر، ولن يستشعر الكائنات الأخرى ولا الأصوات ولن أستطيع الشعور به وتلبية أوامره بشكل كامل، فقط بإمكانه أن يراني حينما أريد وبإمكاني فقط نقل أحداث مضت له صورة وصوتاً أستعرضها له بمخيلته كأنه يراها، فمثلاً إن كان يشاهد تلفازاً فسيرى ما يجب أن يراه بمخيلته مقتنعاً ومصدقاً أنها مادة مسجلة وتعرض أمامه حقاً، وقد حان الوقت لأقف بجوارك وأساعدك ولكن لأكن لك روحاً يجب أن تساعدني يا تيام، تثق بي ولا تظلمني وحينها ستجد ما تفكر به يحدث ستكون قواي الخفية ملكاً لك، تصنع بها ما تريد بمجرد تخيلك أو تفكيرك بأي شيء ودون أي جهد منك سوى حسن التخيل

والتفكير، وبعد فترة حين يرتاح ضميري وحين نجد أننا قد حفظنا أرواحاً وحقنّا دماء وأصلحنا ذات بين ونشرنا سلاماً وأزهقنا فساداً، سأذهب للقاء ربي فور نجاحي باستغلال تلك المهلة لعلي أكون سبباً لحدوث تلك الأمور فأنت تعلم أننا لا نستطيع فعل شيء مخالف لإرادة الله، سنكون سبباً فقط ولفترة محدودة لا يعلمها سوى خالقي، فحتماً ستنتهي مهلتي يوماً ما وأعود لمصيري، مصير الموتى المحتوم والذي تعرفه أنت يا تيام.

-تيام: ومتى سيحدث هذا يا كارتر؟

-كارتر: بالكاد حين يذهب الغضب ويتقبل كلا منا الآخر مستسلماً وراضياً بقضاء الله.

-تيام: وهل هناك ما يغضبك مني يا كارتر؟

-كارتر: أنسيت أنك حاولت قتلي منذ دقائق قليلة فقط؟ أنسيت أنك كدت تعيد إليّ شعور الموت للمرة الثانية، بعدما قد حدث لي بأول مرة ولم تسألني حتى عن شعوري وقتها وماذا حدث؟

-تيام: لقد قرأت ذلك سابقاً وودت أن لا أعود بالذاكرة إلى هناك، ولكنني أعلم جيداً أني ذاهب معك إلى ذلك الحدث لا محالة ما دامت هذه طبيعة العلاقة بيننا، أذهب رغم عني حيث تفكر أنت، وما دام الأمر كذلك فهيا لتخبرني أنت عما حدث يا صديقي لأعش معك تلك المرحلة ونعبر ذكراها الأليمة سوياً.

كيفن كارتر

27 يوليو عام 1994

قاد كيفن كارتر شاحنته إلى قرب نهر برامفونتاينسبروي وهو نهر صغير يقطع الضواحي الشمالية لمدينة جوهانسبرج وهي منطقة اعتاد أن يلعب فيها حين كان طفلاً صغيراً

وقف يسترد ذكريات أجمل أيام عمره، وقد قرر أن ينهي حياته في نفس المكان، يراقبه تيام العائد بروحه إلى ذلك المكان يتبع نظراته وتفكيره وشروده، وبعد تفكير عميق أمسك كارتر بالورقة والقلم وبدأ يكتب رسالة مضمونها

(أنا آسف جداً جداً... لكن ألم الحياة يفوق متعتها بكثير لدرجة أن المتعة أصبحت غير موجودة... أنا مكتئب... بدون هاتف... مال للإيجار... مال لإعانة الطفل.... مال للديون... مال !!! تطاردني ذكريات حية من عمليات القتل والجثث والغضب والألم.... لأطفال يتضورون جوعاً أو جرحي، من المجانين المولعين بإطلاق النار، أغلبهم من الشرطة، من الجلادين القتلة... ذهبت للانضمام إلى كين (صديقه الراحل) إن كنت محظوظاً لتلك الدرجة. وترك رسالته داخل الشاحنة، ثم أخرج أدواته وقام

بتوصيل العادم داخل الشاحنة مشغلاً المحرك وأغلق عليه باب شاحنته حتى اختنق مسموماً بأول أكسيد الكربون

شاهد تيام الموقف وكان انفعاله داخلياً بدأ البكاء والصراخ، لكنه لم يتحدث فهو يدرك أنها أقدار وقد حدثت جميعها بالفعل، ولم يعد لديه القدرة على تغييرها فسالت دموعه شلالاً، وخرج من الشاحنة وبدأ ينظر بداخلها إلى صديقه الذي بدأ يعتاد وجوده وفجأة، وجد نفسه ببيته ووجد كارتر يجلس أمامه حزيناً باكياً فهرول نحوه ولأول مرة يعانقه كأخ وصديق وحبيب وأخذ يربت على كتفيه طالباً منه العفو عن خطئه بحقه، ومحاولته قتله ولأول مرة يلتمس ضعف كارتر الذي منعه بكاؤه من النظر بعيني تيام، ولم يتفوه بكلمة واحدة، بل كان مختنقاً حد الصمت وعدم القدرة على أية كلام فترك تيام ووثب فوق الحائط نائماً كخيال لأحد النيام حقاً، أشفق عليه تيام وحزن لأجله وتركه نائماً وفتح الحاسوب وبحث في الإنترنت عن اسم كيفن كارتر ليراجع تاريخه وذكرياته مرة أخرى لعله يستطيع مساعدته، وحين بدأ يتصفح الإنترنت أتته بعض إشعارات برامج التواصل الاجتماعي؛ فراح يتابعها ليعرف أخبار الناس فوجد رشا تعلن الحداد جراء وفاة والدتها بالأمس، والتي تم دفنها بالمساء، حيث قاموا بأداء صلاة الجنازة تلو صلاة العشاء؛ فقرر أن يوقف بحثه حتى يعبر تلك الأزمة وتابع إشعاراً آخر، ليجد شقيقته تيا التي كانت قد عدلت إعدادات حسابها على الفيس بوك لتجاهل رسائل شقيقها، نفس الأمر الذي فعلته مع حسان فوجدها

تشارك على حسابها بثاً مباشراً لها مع مجموعة أصدقاء من داخل فيلا أحدهم، كان يحتفل بعيد ميلاده وكانت مثيرة الشكل والملابس في أبهى صورها، غضب تيام جداً فقد كانت الساعة الثالثة صباحاً فكيف لشقيقته أن تتأخر خارج بيتها وحيدة بين أغراب وبتلك الهيئة أياً كانت الظروف أو المناسبات، كان تيام منهكاً جراء ما يحدث له منذ أيام فخلد للنوم ولم يستفِق حتى أولى ساعات اليوم التالي وكانت العاشرة صباحاً فصحا على رنات جرس الباب معلنة عن قدوم ضيف؛ فتح الباب واستقبلها، وقد كانت رؤى المخلصة التي أبت أن تتركه بأزمته وحيداً، وكان برفقتها شقيقها الأصغر حسين فتعجب من ذهابها باكراً إليه، فقد كانت تذهب إليه كل يوم عصراً تقوم بتنظيف بيته وإعداد بعض الطعام وتؤكد عليه ضرورة تناول الأدوية بوقتها الصحيح ناظرة إليها لتتأكد أنه مواظب عليها وكانت لا تأتيه سوى برفقة شقيقها حتى لا تحمل إثم خلوتها برفقة رجل غريب دون محرم لها، فأخبرته أنها ذهبت إليه لترافقه بالذهاب لعزاء رشا في والدتها فقد كانت رؤى بالكاد تتابع الجميع عبر برامج التواصل حتى ولو بدون الالتزام بالتواصل الدائم، ولكنها دوماً ما كانت تتابع آخر الأخبار حتى تطمئن على الجميع يومياً، وذهبت لتيام بهذا الوقت لإدراكها سوء حالته الصحية وعدم تركيزه مع الأحداث الجارية، فأفاق من نومه فدعته للذهاب للوضوء والصلاة حتى تعد له وجبة إفطار وتصنع لهم جميعاً الشاي، وتفاجأت أن بيت تيام لايوجد فيه مصحف ولا سجادة صلاة، فغضبت

كثيراً ولكنها قررت أن تجلبهم له بالغد في الزيارة القادمة، وذهبوا بالفعل لقضاء واجب العزاء لرشا، وحين دخلوا بيتها وجدوها تبكي بحرارة وتشتكي أن والدتها ليست بخير وشقيقاتها يلتفون حولها باكيات ويحاولن تهدئتها دون جدوى، وحين حاولوا مصافحتها لم تستجب وأمسكت برأسها الذي كاد ينفجر من شدة الألم والبكاء، فجذبتها رؤى بقوة وسألتها عن سبب كلامها الذي أقلق الجميع، ولماذا تقول أن والدتها ليست بخير، فأجابت رغم بكائها وحزنها الشديد لعلّ أحداً يرشدها لما يريح قلبها تجاه والدتها قائلة.

-إنني مسلمة ومسلمة لقضاء الله وقدره وأعلم أن الموت نهاية كل حي وأننا جميعاً راحلون.

-رؤى: إذاً لماذا تقولين أنّها ليست بخير؟ ألم تقولي سابقاً أنها من أخلص الأمهات وأطيبهن قلباً وأكثرهم وداً وطاعة لله، إذاً لماذا تخافين عليها ما دامت كانت محسنة هكذا؟

-رشا: سأتلو عليكم ما حدث، لقد تعبت بالأمس كثيراً بعد دفن والدتي وغلبني النعاس، فرأيتها تقف داخل غرفة مظلمة تصرخ وتبكي تستغيث الناس ولا أحد سواي يسمع صراخها، كانت ملتفة بقماش أبيض بدلاً من الثياب فأيقنت أنه لحدها وأنّ الغرفة المظلمة قبرها، مددتُ لها يدي لكي ألامسها أمنحها الأمان وأغيثها، ولكن شيئاً ما منعني من الوصول إليها وفجأة خرج من باطن الأرض ومن نهاية المقبرة ناموساً معدنياً ذو مقدمة مدببة تشبه إبر المخيط يطير مصدراً صوتاً مفزعاً، حين يحلق بجناحيه يشبه

تحليقه ارتطام قطع الحديد ببعضها البعض، حتى وصل إلى والدتي التي تصرخ ممددة يديها نحوي، وحين بدأت يداي تلامساها اقترب الناموس وتجمع حول رأسها، وأخذ يضرب مقدماته برأسها ممتصاً دمها حتى جف فتلاه بامتصاص نخاع عقلها حتى أصبح وجهها جلداً علي عظم خاوياً من الدم واللحم وحتى العينان لم يبقَ سوى الجلد والشعر، وجمجمتها المليئة بالثقوب من أثر نقر الناموس ثم اجتذبها من جمجمتها حتى طرحت أرضاً واضعة رأسها فوق مسكنه الذي عاد إليه مجدداً بداخل الأرض ولا زالت يداها تلوح نحوي مرتعشة؛ فصحوت فزعة من نومي أصرخ وأشعر بأنّ جبلاً من الهموم قابع فوق قلبي، وأنّ أمي ليست بخير وأنها تستغيث بي وتحتاج المساعدة

-تيام: وعلى ما عقدت العزم أن تفعلين ليرتاح ضميرك وتطمئنين عليها؟

-رشا: لا أعلم ولكننا ذاهبون إلى المقابر لزيارتها، وسنقوم بتوزيع الصدقات والطعام هناك لعلّ الله يرحم ضعفها ويفرج كربها ويطمئن قلبي عليها.

-تيام: أنا آتٍ معكم يا رشا.

-رؤى لتيام بصوت خافت: لا داعي لزيارة المقابر حتى تتعافى.

-تيام: أعلم أنني ربما أتعب كثيراً هناك، ولكنني الوحيد الذي يمكنه استشعار الوضع إما نورانياً أو شيطانياً، من خلال ما صرت أراه وأشعر به

فأنا أيضاً أود الاطمئنان على تلك السيدة العظيمة، التي طالما رأيتها نعم الأم والصديقة والإنسانة الحنونة والمحبة لكل من حولها.

توجهوا جميعاً إلى المقابر وطوال الطريق كانت رؤى تحصن تيام بالأدعية والرقية الشرعية، لعلّ زيارة المقابر تلك تمر بسلام، وها قد وصلوا إليها مع جمع كبير من الأسرة والجيران والأقارب، وحينما اقتربوا منها ارتدى تيام نظارته العجيبة التي تساعده علي ضبط الرؤية، ولكن لا زالت مشكلة سماع الأصوات الغريبة بلا حل، فوضع يديه على أذنيه متجاهلاً هذا الضجيج الذي يستشعره، ووقف بعيداً عن مقبرة والدة رشا التي تبكي محدثة إياها وتمسك بها رؤى كي لا تسقط منهارة من بين أيديهم، ويتخاذل عن القدوم نحوهم حتى سقطت رشا أرضاً فهرول نحوها مسرعاً لإغاثتها وحين اقترب استشعر صراخاً يتبعه أنين حاد قادم من المقبرة، فصعق من هول ما سمع وأخذ يصرخ هو الآخر فالتف حوله أقارب رشا، وبرغم فزعه أبى الذهاب وبدأ يتحسس كلام والدة رشا الذي لا يسمعه سواه ثم سألها:

-ماذا أصابك؟

فسمعها تناجيه من القبر باكية وقائلة:

-تحت رأسي نار تحرقني، أغثني من النار، وأخذت تصرخ قائلة النار وتكررها مراراً.

تعجب الجميع من فعل تيام وكلامه!! فنظر نحو رشا قائلاً:

-أريد مفتاح المقبرة يا رشا.

رد أحد أقاربها قائلاً:

-المفتاح معي، ولكن لماذا تريده؟

-تيام: لأخرج النار من المقبرة وترتاح المرحومة في مضجعها الأبدي.

-الرجل: ماذا تقصد؟ إن للميت حرمة، هل تعتقد أنني سأتركك تنتهك حرمة ميت لمجرد خيالات لم يشعر بها أحد سواك؟

-تيام: رحماك سيدي فالسيدة تصرخ وتئن ولن نرتاح جميعاً لو تركناها هكذا

-الرجل: هذا لن يحدث أبداً، على جثتي!!

-رشا باكية: أعطه المفتاح يا خال فوالدتي تتألم ولن أتركها هكذا.

-الرجل: لن أعطي المفتاح لأحد، ودعكما من خرافاتكما هذه

فتوجهت رشا نحو خالها وأحكمت قبضتها على ثيابه قائلة:

-إما أن تعطيه المفتاح وإما أن تدفنني بجوارها، فأنا لن أتركها ما دمت قلقة عليها يا خال.

-الرجل بعد أن نهرها: حسناً، إن كان لا بد من فتح المقبرة فليكن فتحها لوضعك بجوارها.

فراحت رشا تبكي وتلطم خديها قائلة:

-دعني بجوارها حتى لا أتألم ثانية يا خال.

وأخذت تكررها حتى سقطت أرضاً مغشياً عليها؛ فالتفَّ حولها الناس يحاولون إفاقتها ومن بينهم خالها، حتى إذا ما فتحت عينيها ربت على كتفها وقال لها:

-خذي المفتاح يا رشا، فأنا والله ما فعلت هكذا إلا حفاظاً على والدتك ولكن بيدك الأمر، فأخذت منه المفتاح وألقت به إلى تيام فراح يفتح المقبرة؛ فأمسكت رؤى بثيابه ومنعته من الدخول مراعاة لحالته المرضية فشهد الموقف أحد العاملين بالمقابر، فطلب المفتاح ليدخل هو وخاصة أن هذا عمله وأنه سوف يتوخى الحذر في التعامل مع الجثة، ويبدأ النبش تحت رأسها أولاً بناء على كلامهم وتوقعاتهم، وقد حدث بالفعل ليجد العامل أوراقاً ملفوفة فوق بعضها ليجلبها وينظرون فيها، فيجد صورة عريس وعروسه ممزقة ليفترقا عن بعضهما بالصورة ومكتوب على الصور وعلى ورقة برفقتهما بالدم وبالحبر طلاسم وكلمات غريبة؛ فوقفوا يفتحون الأوراق ويحاولون قراءة المكتوب، ليخبرهم أحد الموجودين أنّ ذلك نوعاً من السحر لتفرقة الزوجين والإيقاع بينهما، وأن هذه ظاهرة انتشرت في الآونة الأخيرة وأن الطلاسم مكتوبة بالحبر ودم الحيض، وأنها توضع تحت رأس المتوفي وكلما ازداد نهش الدود في الجسد وخصوصاً الرأس الموضوع السحر بأسفله، كلما ازداد مفعول السحر تأثيراً وقوة.

فأحرقوه وعادوا إلى بيوتهم جميعاً ورغم آلام رشا إلا أنه قد أزيح حملاً ثقيلاً عن صدرها، وعادت رؤى إلى بيتها بعدما أودعت وشقيقها تيام ببيته وعادا لبيتهما، جلس تيام وحيداً في بيته حزيناً متألماً وأخذ يحدث نفسه قائلاً:

-هل وصل جحود الناس لانتهاك حرمة الموتى بوضع السحر داخل مقابرهم؟ أين ذهبت الإنسانية؟ لماذا غابت الضمائر وما الذي أوصلنا لهذا الحد من الجفاء؟

-كارتر: إنها الدنيا الدنيئة يا صديقي، هكذا صارت بسبب جشع الكثير من الناس وغلظة قلوبهم.

-تيام: أعلم أنك عانيت فيها كثيراً وأنك شهدت ما يشيب له شعر الرأس رغم وفاتك شاباً بالثالثة والثلاثين من عمرك، ذلك العمر الذي كان يفترض أن تحيا به أجمل أيام حياتك

-كارتر بضحكة ساخرة حزينة: لقد عانيت القهر والخذلان حتى في أوج مراحل حياتي ونجاحي.

-تيام: كيف؟ وكيف يمتزج النجاح بالخذلان؟

-كارتر: ستجد الإجابة حين تعلم قصة صورة مجاعة السودان منذ بدايتها حيث بيعت تلك الصورة لصحيفة نيويورك تايمز، وعرضت للمرة الأولى في **26** مارس **1993** ونشرت في عدد كبير من الصحف الأخرى حول العالم، وقام المئات من القراء بالاتصال بالجريدة لمعرفة ماذا حل بالطفلة الصغيرة

المزعومة، وهل وصلت فعلاً إلى مركز توزيع الطعام أم افترسها النسر، وبعد عرض الصورة بعام كامل قامت نانسي بورسكي محررة الصورة الأجنبية في صحيفة نيويورك تايمز بمهاتفتي لإعلامي بنيل أرفع جائزة في التصوير الصحفي، وهي جائزة بوليتزر، وعقد لي مؤتمراً صحفياً ولكن للأسف فقد تبدل انتصاري وسعادتي بالنجاح إلى هزيمة ساحقة، حين بدأ بعض الصحفيين يستنكرون الصورة واتهموني بأنني أكثر وحشية من النسر الجارح الذي كان يراقب الطفلة منتظراً الانقضاض على جثتها، وبعدها تدهورت حالتي النفسية حتى أصبت بنوبة اكتئاب حاد لم أتخلص منها إلا بالانتحار، وكان ذلك بعد حصولي على الجائزة بثلاثة أشهر....

وفجأة اقتطع صوت رنات جرس الباب حديث كارتر المؤلم فتعجب تيام عن الزائر في ذلك الوقت فأخبره كارتر أن يفتح الباب لرؤى، ورغم تعجب تيام لأنها كانت برفقته معظم ساعات اليوم إلا أنه فتح الباب واستقبلها لتقف خلف الباب لدقائق تطمئن عليه، وتأمره أن يعتني بنفسه جيداً وحين سألها عن سبب زيارتها له بهذا الوقت أخرجت له من الحقيبة البلاستكية التي كانت تحملها مصحفاً وسجادة صلاة، وطلبت منه أن يلتزم بالصلاة عسى أن يحفظه الله من وسوسة الشياطين التي كانت تملأ بيته والذين كانوا يكرهون رؤى بشدة ويجزمون أنها لو صارت زوجة له فسوف تؤذيهم كثيراً بسبب إيمانها والتزامها، وهذا ما كان يولد عنده بعض الأفكار الخاطئة نحوها، ولكن أثناء مرضه فقد رأى كل شيء بطبيعته ولكن

برؤية أخرى وعين أخرى، فأقر على التنازل عن كل ما قد يحول بينهما فقط من أجل الفوز بتلك الملاك وأثناء حديثها معه دعاها لدخول البيت فأبت الدخول دون شقيقها حسن فسألها عنه قائلاً:

-لماذا لم يحضر معك كالعادة؟

-رؤى: أنت تعلم أحوال الصبية في مثل هذا العمر؛ فقد أتى معي بالصباح ورفض أن يضيع يومه كاملاً برفقتي، فتركني وراح يلهو مع أصدقائه.

-تيام: وهل يجوز أن تقفي على باب البيت وتمتنعين عن الدخول هكذا؟

-رؤى: يكفي أنني اطمأننت عليك.

عادت رؤى وفي طريق العودة وعلى مقربة من بيتها ببداية الشارع الذي تسكن فيه، سمعت لأول مرة أصوات المتنمرين عليها من جيرانها يدعى أحدهم أحمد وكان رجلاً كبيراً في الرابعة والخمسين من عمره كان صاحب متجرٍ لقطع غيار السيارات والآخر يدعى حامد يبلغ التاسعة والعشرين من العمر وكان صاحب البيت الذي يضم مجموعة محلات من بينهم محل قطع غيار السيارات الذي يستأجره منه صديقه أحمد، يقذفونها بالكلام غير المباشر مدعين أنهما يمزحان سوياً ولا علاقة لهم بالمارة فلفت حوارهما انتباهها حين قالا:

-أحمد: لماذا أراك كل يوم عصراً جميلاً هكذا يا حامد وأين تذهب؟

-حامد: أذهبُ لحبيبي ذا العيون الزرقاء.

-أحمد: لماذا؟

-حامد: أمارس معه الحب ربما تنالني من الشهرة جانباً.

وأخذا يضحكان بسخرية وحين نظرت نحوهما تجاهلاها وكأن شيئاً لم يكن، كانت تعلم لماذا يفعلان معها هكذا، فقد كان أحمد متزوجاً من امرأة سليطة اللسان تتحكم به، ويعيش معها متنازلاً عن كيانه الرجولي بلا كرامة، وكان منجباً منها أربعة أبناء ما بين بنين وبنات، كان وزوجته دائمي الشجار سوياً وفي إحدى المرات التي أهانته بشدة وولى غاضباً وتركته ينام بمحله قرابة أربعة أيام، وكان موقفه مستفزاً لسخرية الناس جميعاً، وكانت تلك أول مرة يثور فيها لكرامته، وحينها قرر الاستغناء عنها فحدث رؤى أنه يود الزواج منها سراً وما كان منها إلا أنها صاحت فيه بغضب رافضة ومستنكرة، فهي بعمر ابنته أولاً، ثم أنها لن تفكر بالزواج من رجل متزوج حتى ولو كان شاباً بمثل عمرها، وأيضاً فإنها لن تقبل الزواج إلا بشخص متزن ذي شخصية قوية يستطيع الحفاظ عليها وحين صاحت في وجهه بالرفض سخر منها قائلاً

-إذاً انتظري من تركك ربما يشفق عليك يوماً ما، ويتزوجك ليوفر لوالدك مدرس الدين ثمن لقمتك وكسوتك ولعله لا ينتظر كثيراً فمثيلاتك يتهافت عليهن الخطاب، أما أنت فلن يفكر بك أحد لعلم جميع الناس عن علاقتك بتيام الذي أخذ غرضه منك وتركك.

وحين سمعت رؤى ذلك الكلام استشاطت غيظاً وما كان منها إلا أن قبضت على ياقة قميصه وسحبته لمنتصف الشارع ليراه الجميع، ويكون

عبرة لغيره وأبرحته ضرباً بحذائها، وكان كلما حاول انتزاع قميصه من قبضة يدها كلما أحكمت قبضتها عليه وانهالت عليه ضرباً، حتى تقطع حذاؤها عليه ولم يفكر بضربها أو المساس بها فهي ابنة ذلك المكان ويعلم أن أهل كرموز جميعاً من أحباء والدها، وأسرتها سينتقمون منه شر الانتقام وربما طردوه وأغلقوا متجره بهذا الشارع الذي لم تسلم فتياته من إيذائه، وبالفعل ثار أبناء الشارع ولقنوه ضرباً مبرحاً يكاد يتذكره طوال حياته وكان هذا سبب عدائه لها، أما حامد ذلك الثري الوسيم الشاب الذي يمتلك عقاراً ضخماً ورثه من والده؛ فكان مصدر دخله الثابت هو جمع إيجارات الشقق والمحلات به، وكان قد ترك لنفسه متجراً خاصاً خصصه لبيع الملابس الجاهزة، وكان يركن إدارته للعمال ويشرف على الحسابات فقط، كان دائم التتبع لرؤى في جميع خطواتها فقد كانت فتاة مختلفة تثير فضول الجميع وشغفهم، ويحاول الجميع التقرب منها وحين حاول إقامة علاقة معها بهدف الارتباط والزواج رفضت بشدة، لعلمها أنه يتعاطى المخدرات بل إنه حين حاول صنع صداقة مع شقيقها حسن ورأته برفقته أخبرت والدها عن علاقة شقيقها به، ليمنعه الوالد عن صداقته وجلبه للبيت برفقته وذلك لعلم جميع الناس بسوء أخلاقه، وتعاطيه المخدرات ومنذ حينها وهو يفكر كيف لتلك الفتاة أن ترفض الارتباط به بينما هنالك الكثيرات اللواتي ينتظرن منه إشارة واحدة ليكن تحت أمره، فهو يصلح زوجاً مثالياً من وجهة نظر بعضهن، وأثناء أزمة تيام كان أحمد وحامد

يراقبانها بغيظ شديد، كيف لها أن تقهرهما وتتجاهلهما هكذا وتهب تيام كل هذا الحبّ وتذهب إليه يومياً، وتقوم بترتيب بيته فقد علموا بعض تلك التفاصيل حينما استدرجوا شقيقها الأصغر حسين عن أين يذهب كل يوم عصراً برفقتها.

عزة

وقف كارتر أمام تيام الذي يتابع برامج التواصل عبر هاتفه غاضباً، فسأله:
-ماذا بك يا تيام؟
-تيام: انظر، شاهد بنفسك
وقد أراه تيا تنشر بثاً مباشراً من حفل زفاف إحدى صديقاتها ترتدي ملابسها المثيرة كالمعتاد منذ زواجها وبرفقة الكثير من الشباب والفتيات الذين لا يملون المرح والفسح والحفلات، فرد عليه كارتر قائلاً:
-أعلم أنك حزين لأجلها وخاصة أنه لا أحد لك بهذا العالم سواها ولكن لنترك الحديث عنها الآن فهنالك زائر يود محادثتك، ولكن أسألك أن لا تخف وأن لا تتعجب
-تيام متعجباً: ومن يكون ذلك الزائر؟ ولماذا أخاف؟
-كارتر: لتعلم يا صديقي أن أرواح القتلى تظهر أحياناً بآخر مشهد حين احتضارها، وبنفس الحالة التي لفظت فيها أنفاسها الأخيرة، ربما ليس دائماً ولكن هذا ما رأيته أنا عن نفسي، واعلم أنك تراني بأبهى صوري هكذا لأنني مت مختنقاً دون أية خدوش بجسدي على العكس مما حدث مع عزة.

-تيام: عزة، من تكون تلك الفتاة؟ فأنا لا أتذكر أنه كان لي صديقات بهذا الاسم.

-كارتر: فلتأتي هي وتخبرك عن نفسها وتخبرك لماذا تود مقابلتك بكل ذلك الشغف

ثم ناداها كارتر قائلاً:

-تعالي يا عزة، تيام ينتظرك

فدخلت عزة وحين رآها تيام صعق وغاب عن الوعي، ولم يستفق سوى بعد وقت طويل فقد رآها فتاة ثائرة الشعر ويظهر عظم وجهها المغطى والسائل بالدماء وجسدها ممزق وثيابها ممزقة ومتسخة بشدة ممتلئة بالدم المخلوط بالتراب وحين قاما بإفاقة تيام توسلت إليه عزة ألّا يخف منها، ويستمع حكايتها من أجل إنقاذ حبيبها وصديقه وتيا.

تعجب تيام حين سمع اسم تيا من بين كلامها فحاول استجماع قواه حتى يعلم ماذا بها وبدأت تحكي قصتها

-أنا عزة طالبة بالفرقة الأولى كلية الطب جامعة الإسكندرية، كنت الابنة الوحيدة لأبي وأمي، كان أبي ثريا ورث عن جدي قطعة أرض زراعية كان مولياً أمر زراعتها لعمي وكان مغترباً بإحدى دول الخليج العربي وتحديداً بالكويت حيث عمل هناك سنوات عدة جنى فيها أموالاً طائلة، كان يمكث بغربته تسعة أشهر كل عام ويأتي لزيارتنا ثلاثة شهور فقط كنت أعشق البحر ودائماً ما أذهب إليه برفقة والدتي طوال فترة طفولتي وحتى مراهقتي

حين كنت أدرس بالثانوية العامة، ومنذ بداية تلك المرحلة تعرفت عليه، كنت ندية بعمر الزهور لا أعرف معنى كلمة حب ولكنني كنت أنجذب لنظراته الحانية وقلبه الحنون.

-تيام: من تقصدين بهذا الكلام؟

-عزة: أقصد حبيبي الذي لم يمهلنا القدر فرصة للسعادة، مدين.

-تيام: مدين من؟ هل تقصدين مدين صديق حسان؟

-كارتر: لا تقاطعها يا تيام واعلم ما تود أن تقوله بإيجاز لأنها ما أتت إلا للضرورة القصوى، ويجب علينا تدبر الأمر جيداً

-تيام: حسناً، وماذا حدث يا عزة؟

-عزة: نعم هو مدين صديق حسان، تعرفت عليه على الشاطئ كان بائعاً للفريسكا التي كنت أعتبرها من مقدسات زيارتي للبحر، ليس عشقاً لمذاقها ولكن لأصالة ذكرياتها فكم من عدد المرات التي اشتراها لي أبي حين كنت طفلة حتى اعتدت على وجودها تذكاراً دائماً من أبي، ومع أول مرة أشتري الفريسكا من ذلك البائع الذي كدت أراه لأول مرة، مدين رفض أن يأخذ ثمنها مني واكتفى بأن ابتسم لي ورحل، ناديته كثيراً فلم يستجب، وبعد فترة ذهبت إلى هناك لأجده يكرر نفس الموقف، عشقت اهتمامه كما عشقت نظرة عينيه، كان يتجول بين الناس بائعاً ويمر نحوي عشرات المرات، فقط لكي يستطيع أن يراني ولم يفصح لي عن حبه فكم كان مهذباً يعلم أن فتاة صغيرة مثلي لم تنضج بعد لا يجب أن تهتم سوى بدراستها

ومستقبلها، وذات يوم وأثناء وجود أبي لقضاء عطلته المعتادة معنا اصطحب والدتي مستقلاً سيارته ذاهباً لشراء قطعة أرض للاستثمار فانقلبت بهما السيارة ورحلا دون سابق إنذار لأعيش وحيدة برفقة عمي، اسودت الحياة بعيني ورغم حداثة عمري أحسست بالكبر حد الهرم فلم أعد أرغب بتلك الحياة ولا أنتظر منها سوى يوم تودعني فيه لرفقة أمي وأبي فالحياة لا تطاق بعدهما، ولن يعلم أحد وجع فراق الأهل ومرارته كفتاة بمثل عمري ببداية مراحل النضج والتكوين، وبعد وفاتهما بفترة قصيرة استدعى عمي محامياً لترتيب إجراءات الميراث وليعلم كل منا حقه فأنا ابنة وحيدة لأبي، وكما تعلمون أن الولد يرث والده كاملاً بينما الفتاة لا، تفاجأ عمي أن والدي لم يدع له إرثاً، حيث كان يسجل باسمي كل شيء بيعاً وشراءً، بأوراق رسمية في الشهر العقاري، غضب عمي حيال تصرف أبي ونسي أنه أخوه وأعلن عداوته لي، وما أدراكم حين تشهر أسلحة العداوة من الولي الذي يفترض أن يكون حميماً في معركة غير متكافئة يكون فيها البريء سجينَ قفص الجلاد رغماً عنه، لم أكن أفكر بالمال ولا مانع لدي أن أتركه كاملاً لعمي ولكن قسوة عمي كسرتني وجعلتني أتردد فيما أفكر أن أقوم به من التنازل له عن ثروتي كاملة، لم يكن لدي أصدقاء فكانت والدتي رفيقتي الدائمة طوال عمري فلم أجد غير البحر صديقاً وبنفس المكان الذي كنت أذهب إليه دائماً برفقتها، وبعد وفاتها تعودت أن أذهب للبحر أبكي وأطلعه على أسراري لعله يستطيع مساعدتي وحينها

بدأ كلامي مع مدين العاشق الصامت الذي اهتز قلبه وجعاً حين رآني أبكي لأول مرة وسألني عن والدتي، ولماذا لم تأتِ برفقتي كالمعتاد، كنت أحتاج أن ألقي بجبال الهموم من فوق صدري لعل أحداً يشاركني أمري ويخبرني ماذا أفعل ويساعدني على مواجهة حدة الحياة وقسوتها فلم أجد غير مدين، فأعلمته بكامل تفاصيل حكايتي فازداد لي عشقاً وعطفاً واحتواء وصرت أخرج للشاطئ لمقابلته دوماً وعلم عمي بذلك حين أبلغه أحد الأشخاص أنه رآني مرات عدة مع بائع الفريسكا، فألزمني عمي الجلوس بالبيت وعدم الخروج حتى للجامعة، لم يعد عمي يهتم بعمله كالسابق ولكن أصبح كل ما يشغل ذهنه هو الحصول علي كل مال أبي وها قد انتهت النقود السائلة فقد كان والدي يحفظ ماله بشراء قطع أراضٍ أو وحدات عقارية للاستثمار فقط وحينها انكسر هاتفي وحاولت شراء هاتف جديد فرفض عمي وأخذ مني النقود عنوة، قابلت مدين وشكوت له من كل شيء وبعدها بأيام وجدت مدين قد اشترى لي هاتفاً وسألته من أين أتى بثمنه وأخبرني أنه اقترضه من صديقه حسان وحدثني كثيراً جداً عنه، وبعدها بأيام أتى حسان برفقته تعرفنا وجلسنا سوياً، وحفظت من مدين كل أماكن تواجدهما وأوقات لقاءاتهما وكل شيء، كنت أخبئ الهاتف الجديد كي لا يعلم به عمي الذي أتاني يوماً وأخبرني أنّ هناك رجلاً يريد شراء قطعة أرض معينة من إرثي عن أبي، غضبت جداً وتهربت بحجة أنني سأفكر وحين سألت مدين أعلمني أنني لو وافقت فستكون بداية النهاية

وسيستولي عمي على كل مالي بهذه الطريقة فرفضت وبدأ عمي يتجسس عليّ ويراقبني ووجد الهاتف الذي كنت أخفيه عنه، ومالت كل ظنونه إلى مدين فهددني بإيذائه وقطع عيشه من العمل بالساحل مستعيناً بشقيق زوجته ذلك الشرطي الذي لا يؤخر لشقيقته مطلباً، فخفت علي مدين لأنه مسكين وإن أصابه سوء فبالكاد سيموت جده المسكين الذي لامعيل له سواه، بدأت أفكر كيف أنجو من عمي وأستكمل دراستي الجامعية حتى أصبح طبيبة ناجحة تحقيقاً لرغبتي وحلم والدي ووالدتي، وحين علمت تربص عمي لمدين بدأت أسيء له عن عمد، لأنني أنكرت حقيقة حبنا أمام عمي حينما سألني وأحببت أن ألفت انتباههم لأي شخص آخر فبدأت أكلم حسان وأذهب له المكتب حيث عمله بحجة سؤالي عن مدين رغم رغبتي بالانفصال عنه بحجة استكمال تعليمي وبحجة عدم التكافؤ المادي بيننا، والذي سيجعل عمي الطامع في مالي يرفض زواجي من فقير بحجة أنه يخشي علي من الطامعين وأنني فتاة صغيرة لا تعرف مصلحة نفسها وأنني لا يجب علي التفكير في الزواج أصلاً سوى بعد إتمام دراستي وتخرجي من الجامعة، لم يفهم مدين أنني كنت أفعل ذلك من أجله ومن أجل إرغامه على نسياني ولو لفترة، رغم شدة عشقي له وبسبب المراقبة الدائمة عليّ وبسبب اعتراضي المسبب وغير الملحوظ لطريق حسان ظن عمي أنني أحبه هو، وأن مدين الذي كنت أقابله ما هو إلا مرسالاً للحب بيننا، وبدأت بهذا الوقت الحفاظ على مالي لفترة حتى يئست من كل تلك الادعاءات وحاولت

الهروب فخرجت بالمساء متنكرة ولكن مراقبة أولاد عمي لي أحبطت محاولتي فباءت بالفشل وحينها حاول مدين معرفة سبب ابتعادي عنه فقلت له عبر المحادثة الهاتفية شيئاً لم يكن يتوقعه، قلت له: لا تفكر بي كثيراً يا مدين، لقد قضينا سوياً وقتاً جميلاً، كنت لي نعم الأخ والصديق ولكن من ناحية الحب فاعذرني أنني لم أستطع أن أحبك وأن أبادلك نفس مشاعرك.

كنت أقولها وقلبي يتمزق فيعلم الله أنني ما عشقت أحداً سواه وأنه الملجأ والملاذ الذي ادخرت لأستند عليه طوال حياتي القادمة ولكن مدين كان متأكداً من حبي له، فلم يقتنع بكلامي فلم أجد سبيلاً للفرار منه غير تلك الحجة التي كانت بمثابة القشة التي قصمت ظهر البعير، فقلت له: لو كان الأمر بيدي لما عشقت حسان صديقك، ولكن الحب علاقة معقدة لا قبلة لها سوى عين معشوقها، وأن العاشق أعمى في ظل الحب عن عيوب الحبيب وعن أي حواجز أو قوانين، كل ما يراه العاشق أنه يحب فقط، حينها بكى مدين ونظر نحوي قائلاً:

-حسان، أي حظ هذا الذي أوقعك في عشق صديقي وأخي ورفيق دربي وعمري، ثم أردف قائلاً:

وبالكاد تعرفين أن حسان يعشق تيا منذ سنوات طويلة، ولم يرَ بين نساء العالم سواها زوجة وحبيبة!!

فقلت له:

-أعلم كل شيء ولكن الأمر ليس بيدي، فلترحل يا مدين حتى لا أكون الخائنة التي تعشق صديق عاشقها وأكون السبب في فراقكما.

وحينها صاح تيام قائلاً:

-وكيف تجرأتِ وفعلت ذلك أيتها الظالمة، إنك كدت تكونين سبب الفتنة بين الصديقين وفقدانهما لبعضهما أبد الدهر.

-عزة: كنت أعلم أنهما يضحيان لأجل بعضهما ولن يستطيع أحد تفرقتهما، ولكن ما أعلمه أن مدين لو علم عشقي لحسان تحديداً فحينها سيتركني وشأني، وخاصة أنه كان رفيقنا الدائم، وأنني كنت أراه برفقته يومياً، ولكن إن أخبرته عن عشقي لمجهول فإنه لن يقتنع بكلامي أبداً ولكن صدمته بأنني أعشق صديقه ستمهلني وقتاً كافياً أرتب فيه أموري، وأبعد كيد عمي عنه، لأنني كنت سأخبر عمي أيضاً أن حسان الذي ادعيت أنني أعشقه لن يفكر بي أصلاً لأنه مرتبط بفتاة يحبها وحينها لن يفكر عمي في إيذائه، بل كان سيسعد لأنني أحب رجلاً لن يستطيع الزواج مني فأظل برفقة عمي بنفسي وبمالي حتى يستولي عليه كاملاً.

-تيام: وماذا حدث بعد ذلك؟

-عزة: لقد كان لعمي ولد شاب وكان يود أن يزوجني به، لكنه لم يستكمل تعليمه ولم يكن مناسباً على الإطلاق بالنسبة لي، وكان ذلك الشاب نفسه طامعاً أن يتزوجني ويحصل على مالي ويعلم جيداً أنني أرفض هذا وبشدة ولذلك كان دائم الاعتراض لطريقي حين ذهابي للجامعة، حتى أفشل فيها

وأكون مثله وحينها ربما أصلح أن أكون زوجة له، كما وجدته دائم النظرات غير البريئة لي، يعاملني بلطف كبير ولكنّ عينيه تفصح عن نواياه، وذات يوم قررت الهروب من كل ذلك والذهاب إلى مدين وأن أخبره أن عشقي لحسان مجرد حيلة وأكذوبة؛ فبدأت أستجمع أوراقي وملابسي حتى أهرب من بيت عمي ولكن لسوء الحظ يبدو أن عمي كان يحتاط لحدوث ذلك دون علمي، وفي المساء كان ينتظر في الشارع المجاور حتى رآني متنكرة بملابسي وأسرع خطواتي في الظلام حينها اقترب مني فجأة وجذبني من ذراعي وسألني:

-إلى أين تذهبين في هذا الوقت المتأخر يا ابنة أخي؟ ثم وضع يده على فمي لكيلا أستطيع الصراخ وقال لي: هيا ادخلي سيارتي التي لا تناسب طبيبة ثرية مثلك يا أميرة أحلام الشباب.

نظرت نحوه خائفة لا أعلم أي مصير ينتظرني، وعن أمر تلك السيارة التي تركها منذ فترة لأنها هلكت وتآكلت، فلماذا أخرجها من كراجها وأرسلها للإصلاح حتى صارت جاهزة هكذا، دلفت بجوار عمي داخل السيارة وأيقنت أنه مستعد ليوم هروبي منذ فترة وقد أتم استعداداته للتصرف حسب تخطيطه حين يحدث ذلك، وأخبرني عمي أننا ذاهبان للقاهرة لقضاء ليلة في منطقة الحسين والتنزه هناك، ربما نتحدث ونتصارح ونصل لحلول تريحنا جميعاً، تعجبت من تلك الرحلة وبتلك السيارة العجيبة التي ربما لن تبقى صالحة لعودتنا إن أوصلتنا إلى هناك فحالتها كانت سيئة نوعاً ما،

وسرنا حتى منتصف الطريق وهنالك شرد عمي في الصحراء حين أحس بالأمان ولم يجد علي الطريق من يتابعنا، تملك الخوف قلبي وزال الأمان وسألته:

-أين تذهب بي يا عمي وماذا تريد أن تفعل؟

فأجابني بحدة صوت قائلاً:

-سأرسلك إلى أبويك لعلك ترتاحين برفقتهما أكثر، ما دامت الحياة لا تناسبك ولا تسعدين بها.

قلت له باكية ومرتجفة:

-أرجوك يا عمي لا تقتلني وسأتنازل لك عن كل شيء.

-فقال لي: حسناً فلتقومي بالتنازل لي عن كل شيء الآن.

وأخرج مجموعة أوراق مكتوب فيها بنود التنازل لصالح عمي بيعاً وشراءً وبتواريخ قديمة بضع شهور وحين سألته عن ذلك قال:

-هذه لعبة المحامي، عليك التوقيع فقط وعليه هو استكمال الإجراءات

وقعت تنازلاً عن كامل ثروتي لعمي تفادياً للموت، وبعد أن أنهيت ذلك فتح باب السيارة ودعاني للنزول، لم أقوَ على الهبوط، يتملكني الشك ويقتلني الخوف وإن حاولت الصراخ فلن يسمعني أحد، فقررت أن أنزل تنفيذاً لرغبته محاولة إقناعه أنني متسامحة ولن أخبر أي أحد بما حدث وأنّ الأمر سر بيننا وفجأة....

-تيام: وماذا حدث فجأة يا عزة، أخبريني؟

-عزة: وفجأة أخرج عمي خنجراً وطعنني في صدري طعنة واحدة وقال: فلتذهبي بعاركِ إلى مالا نهاية، ولتخبري والدك الذي منعني من حقي به أنني أخذت كل شيء ولتخبري ابن بائع الفريسكا أنه لن ينال منا أي شيء.

وتركني عمي هكذا واستقل سيارته ورحل متجاهلاً صراخي واستغاثتي به، كدت أموت خوفاً، لم يصِب الخنجر قلبي رغم اختراقه صدري فبدأت أزحف والدم يسيل يمتزج بالتراب أصرخ وأبكي دون جدوى، وفجأة سمعت صوتاً يأتي من خلفي، نظرت نحوه مرتعبة فوجدتهما ذئبان جائعان كدت أموت حسرة خوفاً منهما وليس من طعنة عمي وفجأة هجما عليّ فراح أحدهما ينهش لحمي حتى مزق جسدي هكذا، وجاء الآخر وبدأ ينهش لحم وجهي وأنا أراه وأشعر به وأصرخ ولم أستطع الدفاع عن نفسي حتى متُ بين فكيهما بهذه الصورة التي تراني بها الآن.

بكى تيام بحرقة عندما سمع حكايتها ولم يستطع تمالك نفسه، وردد قائلاً:

-لن أترك عمك ينجو بفعلته، ولن أترك دمك يضيع هباءً يا عزة.

-عزة: سأخبرك عن المكان الذي ترك فيه عمي سيارته ومكان رفاتي ودلائلي على وقوع الحادث، فأنا أجلس هناك أحياناً، ستجد بقايا ثيابي ملطخة بدمي وقصاصات شعري وحذائي وعليك بإتمام الإجراءات للقبض عليه وأخذ حقي وأوصيك ألّا تتخاذل في فعل هذا يا تيام، ولكن لاحقاً، أما الآن فقد

جئتك لأمرٍ آخر أخطر بكثير، فأما عني فقد مت وانتهى أمري ولكن الآن عليك بإنقاذ مدين وحسان وتيا، كما أخبرتك في بداية حديثي معك

-تيام وكارتر: أخبرينا ما الأمر يا عزة وسنتدبر الأمر، ونفعل ما نراه صالحاً.

-عزة: حسناً، لقد ذهب حسان منذ عدة أيام رغم تدهور حالته الصحية والمالية لبيت مدين، وكان يحمل له مفاجأة يريد بها أن يسعد قلبه وكان قد اشترى له حاسوباً ومكتباً وسريراً وأقراص تعليمية عن وسائل التجارة والعمل عبر الإنترنت وكان سوف يدعمه مادياً أيضاً لاتخاذ أي خطوة إيجابية والبدء فوراً، فاصطحب العمال إلى بيت مدين أثناء غيابه ليفاجئه حين يعود حيث كان يحمل الفريسكا متجولاً بها على الشاطئ كعادته ساعياً على لقمة عيش يقتات بها هو وجده المريض، الذي بدأت تطارده أمراض الشيخوخة ويستنفد كل كسب مدين لعلاجه مما عطل مدين عن البدء في تنفيذ الكثير من طموحاته فدخل حسان ليجد الجد نائماً، فسلم عليه وقبل يديه وأمر العمال بإدخال المكتب والسرير وقد اشترى أيضاً فراشاً جديداً لسرير الجد وطلب من العمال ترتيب كل شيء بمكانه، فقد كان حسان ينام على سرير حديدي مكسور وكان يرفع زواياه فوق طوب أحمر من الذي يستخدم للبناء فأمر العمال بتنظيف المكان و نصب السرير ووضع المكتب بالمكان المناسب ووضعوا فوقه الحاسوب وبدؤوا وضع الفراش الجديد على سرير الجد فحملوا القديم خارجاً وبدؤوا بتنظيف المكان وترتيبه ليجد حسان تحت مرتبة الجد مجموعة أوراق وقصاصات

صور فحاول حسان جمعها في مظروف واحد والتخلص من الأوراق التي بلا قيمة وحين بدأ يزيح الغبار عن القصاصات تفاجأ أن منها صوراً لتيا زوجته ووجد بعض الأشياء المفقودة لها كقلادة فضية ووجد قصاصات تضم صديقتها حسناء عامر مع ذلك الشخص الذي رأى تيا برفقته في الصور، وعلم أن صور تيا معه مزيفة فقد قام الخائن بحذف حسناء من الصور وترك تيا والشخص وحدهما، ووجد في خلفية الصور صورة قديمة معلقة علي الحائط لحسناء مع ذلك الشاب عندما كانا أطفالاً، فعلم أنهما شقيقان وأنها الفتنة التي أصابته وما كانت إلا من حسان أقرب الأقربين إلى قلبه فاختنق حسان وشعر كأنما أوقدت النيران في سائر جسده، فتساقطت من بين يديه قصاصات الصور وغادر بيت مدين دون أن يستجمعها وحين عاد مدين ووجدها أيقن أن حسان علم بخيانته له، كانت أصعب أيام عاشها الصديقان اللذان باتا بين عشية وضحاها عدوان لدودان، غاب حسان عن أعين الناس قرابة ثلاثة أيام ثم خرج ليفعل شيئاً واحداً.

-تيام وكارتر: وما هو ذلك الشيء، أخبرينا يا عزة؟

-عزة: لقد غاب حسان الثلاثة أيام حتى يشتري له أحد أصدقاءه الذين عرفهم عن طريق مدين مسدساً، وقد جاءه الرجل به منذ ساعات وكل ما يدبر له هو قتل مدين، ومدين يعرف أنه أخطأ وسبب تأخر حالته المادية حتى الآن ليست أدوية جده فقط، بل وتعاطيه أنواعاً من الحبوب المخدرة

باستمرار لكي يستطيع نسيان ما فعله بصديقه، وأردفت عزة قائلة: لا يزال مدين يظن أن حسان سبب رحيلي عنه، وأنني كنت أحب حساناً حقاً وفي محاولة منه للانتقام لعشقه صنع فتنة يوم الزفاف بين حسان وتيا وحدثهما عبر الهاتف مستخدماً برامج لتغيير الصوت، ومستخدماً وسائل أخرى للوقيعة بينهما.

صاح تيام بغضب قائلاً:

-إذاً أنت يا عزة السبب الرئيسي للفتنة، أنت من دمرت حياة تيا وحسان وحتى مدين الذي أحببته وأحبك، لقد كنت لعنة أصابت كل من كانوا حولك يا عزة!!!

فردت عزة باعتراض قائلة:

-بل كنت عاشقة مخلصة لمدين وما فعلته ما كانت إلا خطة للفت النظر عنه حتى أستطيع استجماع أوراقي وترتيب أموري، وحينها كنت سأخبره بكل شيء، وفي اليوم الذي بدأت التنفيذ سبقني القدر وقتلني عمي.

-كارتر: لا تظلمها يا تيام فإنها ما ظلمت ولا أقدمت على فعل سوء، بل بالعكس إنها كانت ضحية يرثى لحالها ويحزن القلب على حالها

-عزة: دعكما من كل ذلك الآن ودعونا نستثمر الوقت بسرعة لأن رحلتي إليكما قصيرة جداً وسأرحل بعدها.

-تيام: أفصحي عما تخشين حدوثه وجئت لأجله ياعزة.

-عزة: لقد اشترى حسان سلاحاً نارياً، ورتب أموره للتخلص من مدين المسكين الذي أخطأ خطأ كبيراً لم ينجُ منه حتى الآن، ورغم توبته وندمه إلا أنه لم يستطع الخلاص من ذلك الذنب، ولم يجد لإصلاح الماضي سبيلاً ولكم فكر في الإصلاح بين حسان وتيا والاعتراف لهما بكل ما حدث لكنه خشي رد فعلهما خصوصاً أنه يعشقهما، وبين تلهف تيام وكارتر لسماع باقي حديث عزة، صمتت لحظات... ثم نكست رأسها أرضاً وقالت لهم:

-عليكم بسرعة الوصول إلى حسان فقد نوى على إتمام مهمة قتل مدين الليلة.

نهض تيام واقفاً وصاح صارخاً.

-لا إله إلا الله، أين هو الآن وأين مدين؟

-عزة: تعلمان أن مدين لا يعود من عمله إلا بالمساء وها قد اقترب الوقت من آذان المغرب، وأما عن حسان فستجدونه يحوم بالقرب منه، لا تتخاذلا فقد أصبح الأمر أمر حياة أو موت، أنقذوا حسان لأجل تيا من تهمة القتل وأنقذوا مدين من أجلي ومن أجل جده البائس الضعيف، ومن أجل نفسه فلكم عانى طوال حياته والآن ومنذ عامين منذ أفسد زيجة حسان وتيا وهو في حالة ضياع تام، وغير راضٍ عن نفسه وحزين فلقد خسر الأحبة جميعاً وعليكم أن تخبروه بقصتي وأنني أحببته حد الجنون ولم أعشق سواه يوماً ما وأخبروه أيضاً أنني كنت قد تركت وصيتي في صندوق بالبريد لأنني

كنت أتوقع غدر عمي، وقد أوصيت له بثلث ميراثي الشرعي في حالة وفاتي ويعلم الله أنني كنت أريد أن أمنحه ميراثي كاملاً؛ فقد كان الحبيب العاشق الصادق الأمين ولكن كما تعلمون للوصية شروط أحببت الالتزام بها لأضمن وجوب تنفيذها وآخر شيء أوصيكم به أن تسألوا حسان وتيا أن يسامحوه لأجلي، وأن يسامحونني جميعاً عسى الله أن يرحمنا برحمته جميعاً.

واختفت عزة وكأنما ألقت كل ما كان بصدرها على كتفيّ تيام وكارتر وولت مدبرة محملة إياهم مسؤولية كبيرة وأوصتهم بمدين ورحلت إلى ما لا نهاية.

نادى عليها تيام صارخاً باسمها فلم يجبه أحد، قال له كارتر:

-هيا لنلحق حسان قبل أن يقتل أو حتى يقتله مدين ولكن علينا أمر

-تيام: وما هو ذلك الأمر يا صديقي؟

-كارتر: علينا إحضار تيا معنا فهي الوحيدة القادرة على ردع حسان عن نواياه.

-تيام: لكنك تعلم موقف تيا مني ومن حسان.

ليسحبه كارتر بقوة قائلاً:

-لم يعد بالأمر متسع لكل تلك الخلافات، هيا لنذهب إليها واعلم أنها لن تراني وكن حازماً معها ولا تذهب لحسان بدونها.

استقل تيام سيارته وذهب إليها بسرعة الريح وعندما طرق بابها وفتحت الباب له ونظرت إليه متعجبة ولم تتفوه سوى بكلمة واحدة وهي (تيام) فقال لها:

-كيف حالك يا تيا؟

فأجابت ببطء وبرود:

-بخير الحمد لله، ثم أردفت قائلة، ماذا تريد يا تيام؟

-تيام: أهكذا يكون استقبالك لأخيك يا تيا؟

-تيا: آسفة، تفضل

فدخل البيت برفقتها وطلب منها سرعة ارتداء ملابس الخروج من أجل إنقاذ الصديقين حسان ومدين من محنة أصابتهما؛ فرفضت قائلة:

-ومن أخبرك أنني أود مساعدة حسان، ألم تعلم أنني قد نسيت أمره ولم أعد أفكر به

-تيام: لا تنسي يا تيا أنه ما زال زوجك

تجاهلت كلامه وراحت تقلب برامج التلفاز بلا مبالاة لما قال، فصاح فيها قائلاً:

-يجب علينا إنقاذ حياة مدين وحسان يا تيا وإلا قتلا بعضهما.

نزل الكلام على قلب تيا كالصاعقة فسألت تيام:

-حسان ومدين يقتلان بعضهما، كيف تقول ذلك يا تيام؟ وماذا حدث؟

فأخبرها تيام بإيجاز عن كل شيء، وفجأة وأثناء حديثه تتبدل شاشة التلفاز إلى عارض صور ومقاطع فيديو فيقشعر جسد تيا تعجباً مما رأت، ورغم روعِها وخوفها لكنها استسلمت فجأة، فقد ظهر حسان يبكي بحرقة وحيداً ببيته مناجياً إياها باسمها، وتظهر صوراً أخرى وهو يمسك صورها يخاطبها ويعاتبها لائماً إياها على غيابها عنه الذي طال وتظهر صوراً كعرضٍ سارٍ بطيءٍ ترى فيه دموع حسان ووحدته ويتضح من الصور شحوب وجهه وتأزم حالته حتى أصبح مريضاً نفسياً يقف بين مجموعة من الشباب ببيته ينهالون عليه ضرباً، ويقولون أنه هو من يطلب منهم ذلك وبنهاية الأمر ظهرت الصور وهو يحمل سلاحاً نارياً وقد تبدلت نظراته الهادئة لغير متزنة فعلمت أنه السلاح الذي أتى به لقتل مدين، فعلمت وأدركت كل شيء بسبب ما رأت، وصاحت صارخة بعلو صوتها: (حساااااان) وسالت دموعها على خديها الرقيقين تملؤهما وجذبت تيام من يده صارخة

-هيا لنلحق بحسان، إنني لا زلت أحبه ولو أصابه مكروه فسأموت قبله يا تيام.

-تيام: تحبينه؟ ألا زلت تحبينه رغم كل ما حدث يا تيا؟

-تيا: نعم أحبه وكنت أقسو فقط كي لا يكسرني حناني، كنت أنتقم لكرامتي منكما بأن يقال عني فتاة غير ملتزمة لأسيء لاسمك يا أخي ولاسم زوجي، كنت أتظاهر بالتحرر لتعايران بي، ولكنني قط ما ملكت أحداً أمري ولا تنازلت عن كرامتي يوماً، لقد كان الانتقام هدفي الوحيد

فقط وقد أخبرت رؤى بكل ذلك، وفجأة صمتت عن التبرير قائلة عن نفسها مطمئنة لأخيها:

-اطمئن يا تيام فأنا شقيقتك تيا أحفظ نفسي وأتقي الله في جميع أمور حياتي وهيا الآن لنلحق بحسان أولاً

وسبقت نحو الباب مسرعة فلاحقها قائلاً:

-وهل ستخرجين بتلك الملابس يا تيا؟

-نعم يا تيام فملابسي محتشمة رغم أنها ليست مخصصة للخروج ولكن لا وقت لدينا ولا شيء يهم الآن سوى إنقاذ حسان

وذهبت برفقة شقيقها يبحثان عن حسان الذي حاولا الاتصال به عشرات المرات دون جدوى، فمن الواضح أنه أغلق هاتفه ولا يريد محادثة أحد، اتصلت بأسرته فأخبروها أنهم لا يعلمون عنه شيئاً، فطلبت من تيام التوجه إلى بيت مدين ربما يجدان حسان بالقرب منه ينتظر عودته هناك وأثناء جولتهما كان حسان قد وصل بالفعل إلى بيت مدين برفقة أحد أصدقائهم المشتركين بينهم، ودلفا داخل البيت فوجدا جده يجلس على مقعده خلف الباب فسلما عليه وسألاه عن مدين فأجاب أنه منذ حوالي ثلاثة أيام لا يخرج من غرفته سوى دقائق معدودة للضرورة القصوى، فقط وغير ذلك فإنه يغلق باب الغرفة المليئة بدخان السجائر ولا يأكل سوى مرة واحدة باليوم بسبب إصرار جده على إطعامه طوال الوقت واستمرار بكائه، فربت حسان على كتف الجد وأخبره أن يرتدي ثيابه ويذهب برفقة

صديقهم إلى الطبيب المتابع لحالته وخصوصاً أن مدين لم يصحبه للطبيب منذ فترة بسبب عدم توفر المال وعندما ارتدى الجد ملابسه وحاول تقبيل يد حسان على ما يفعل من أجله ومن أجل مدين رفض حسان وأشار له قائلاً: أنت جدي أيضاً ولست جداً لمدين فقط، وحاول الجد أن يخبر مدين وحينها خرج مدين من غرفته حين سمع صوت الحوارات بالخارج فخرج ليعلم ماذا يحدث، ولأول مرة في حياته يرى حسان ضيفاً عنده ببيته ولم يلقِ عليه السلام، فقد كانت ملامح حسان تنم عن نوايا سيئة وحين أخبره الجد أنه ذاهب لمتابعة الطبيب برفقة صديقهما وطلب منه الجد الذهاب معه بدلاً من صديقهم عسى أن يثقل عليه، ولكن مدين قال لجده:

-اذهب برفقة صديقي يا جدي ولا تقلق فأنا واثق أنه سيعتني بك كثيراً، وأما عني فدعني مع حسان، فهناك أمور كثيرة وهامة وأعتقد أنه أتى الآن لينهيها، وها أنا على أتم الاستعداد لمعاونته كي أزيح هموم تراكمات الماضي وأتخلص منها إلى الأبد.

ذهب الجد للطبيب برفقة صديقهم وخلا البيت على حسان ومدين وحدهما فأحكم حسان إغلاق باب البيت بالمفتاح ونظرات الخوف والتعجب لا تفارق مدين الذي التزم الصمت فقط، ثم جلس حسان على مقعد الجد دون أن تقع عيناه على عيني مدين، وكانت تلك أول مرة تتباعد أعينهما إلى هذا الحد، وأمسك برأسه الذي كاد ينفجر وجعاً وكان ينظر أرضاً، كي لا تقع عيناه على مدين فيشفق عليه وبعد صمت لحظات سأله:

-لماذا خنت العهد والصداقة بعد كل هذا الحبّ وهذه المودة يا مدين؟

-مدين باكياً: أعلم حجم غضبك يا صديقي ولست لائماً عليك.

-حسان ناظراً إليه بحدة: لا تقل صديقي، فقط أخبرني لماذا قتلتني بغدرك يا مدين؟

-مدين وبعد صمت لحظات: الجهل والغيرة والشك يا حسان، قد كنت أنت الأفضل دائماً في كل شيء، دراسياً ومادياً وعائلياً، أما أنا فقد كنت مجرداً من كل شيء، لا قواعد ثابتة لي كريشة في مهب الريح تطيح بها نسائم الهواء ولا تجد لنفسها بين الخلائق مكاناً منذ انتزعت، وقد فقدت ذلك الجناح الذي كان يحلق بي في الهواء يا حسان، فقد انتزعت يوم وفاة والدي ووفاة والدتي وقهر إخوتي لي واستغنائهم عني ولم يعد لي بهذه الحياة سواك، نعم يا حسان لا أنكر أنك كنت بالنسبة لي كل شيء فقد كنت الصديق والرفيق والأب والخليل، كنت أعتبر كل الناس عابري سبيل في حياتي والثابت الوحيد هو أنت، كنت أعشق بساطتك معي حين كنت تسير بجانبي بكامل أناقتك وكنت أسير بجانبك بثياب رثة ذائبة وحذاء ممزق وكنت تبدو بكامل سعادتك فقط لأننا نسير سوياً، كنت أغار عليك عسى أن يحسدني الناس على صديق مثلك، وتملكتني الغيرة أكثر من شدة حبك لتيا وحبها لك، لا أنكر أنك كنت محظوظاً بهذا جداً يا حسان، كنت أتمنى أن أجد من تعشقني كعشقها لك وأحتويها كاحتوائك لها حتى ظهرت في حياتي عزة، لم أتخيل يوماً أنها... ثم صمت لحظات

-حسان: تتخيل أنها ماذا؟ أكمل كلامك

-مدين: أنها تقع بغرامك وتهجرني وتقسم قلبي نصفين... قالها مدين وهو يبكي بحرقة وقد ظهرت عروق وجهه وزاد نحيبه وجلس أرضاً باكياً على ركبتيه مناجياً ومنادياً مرات عدة... عزة عزة عزة

فنظر إليه حسان باستنكار قائلاً:

-ومن أجل عزة وحبها المزعوم الذي لا مكان له سوى مخيلتك ظلمت تيا وظلمتني؟؟ للأسف لقد أضعتنا جميعاً من أجل مجرد أوهام حقيرة لا أساس لها من الصحة سوى خيالك المريض، ثم سار خطوات أودت به للوقوف أمام مدين وجهاً لوجه وأخرج السلاح الناري المزود بكاتم صوت من جيبه وأشهره في وجه مدين.

رؤى

اتصلت رؤى بتيام لتطمئن عليه وتعتذر عن عدم ذهابها له بذلك اليوم فأخبرها أنه بصحة جيدة،كانت تيا تجلس بجواره تسترجع ذكريات عمر طويل أمضته في حب حسان، تسترجع حتى أدق التفاصيل فأخذها الحنين إليه وحين جال بخاطرها أنه ذهب لصديقه إما قاتلاً وإما مقتولاً وتخيلت مدى الحزن والخذلان الذي حمله لفعل ذلك وصدمته في رفيق عمره، وأنه ما كان ليظلمها لولا وقوع تلك الفتنة، وتخيلت أنه قد يكون الفراق الأبدي الذي لا عودة فيه، انهارت وأجهشت بالبكاء فسمعت بكاءها رؤى التي كانت تتحدث إلى تيام، وحين سمعت صوتاً باكياً بجواره وصوت سير السيارة سألته ما الذي يحدث فأخبرها أنه برفقة تيا، فتعجبت كثيراً رغم السعادة التي انتابتها فسألته متى تصالحا، وما الذي يحدث ولماذا تبكي تيا؟؟ فأخبرها أنه لا وقت للحديث الآن فالأمر معقد والوقت يطاردهم وأصبح الأمر بمثابة حياة أو موت واستأذن رؤى بإنهاء الاتصال، فرفضت فأغلق هاتفه فقد كان يقود السيارة ويهتم لأمر شقيقته المتأزم وحين أغلق الهاتف راحت رؤى تحاول الاتصال بتيا التي نسيت هاتفها بالبيت فقد خرجت مباشرة وبدون سابق ترتيبات، لم تتردد رؤى وأسرعت مرتدية ملابسها وخرجت للشارع تبحث عن شقيقها حسين لتصحبه معها

فوجدها حامد في كامل أناقتها وأبهى صورها وحين أحس منها نظرات البحث والمراقبة سألها عن مبتغاها فأخبرته أنها تبحث عن شقيقها حسين للضرورة القصوى فعرض عليها المساعدة قائلاً:

-أراك متوترة جداً، ويبدو أن هناك أمراً هاماً يجعلك تبدين هكذا

-رؤى: نعم، أحتاج حسين لمرافقتي لأمر ضروري وخطير ولا أستطيع الذهاب بمفردي هكذا ليلاً

-حامد: حسناً هل يمكنني مرافقتك إن كان الأمر ضرورياً ولا يحتمل التأخير هكذا

-رؤى ناظرة إليه باستنكار: بالطبع لا

-حامد: لماذا؟

-رؤى: لست أنا من ترافق الأغراب وحيدة ليلاً يا حامد

-حامد: أحسنت يا رؤى ولكن الضرورات تبيح المحظورات وإن كانت سرعة الذهاب لمبتغاك ضرورية فلتأتي برفقتي ولن نكون بمفردنا لأننا سنصطحب أحد رجال شارعنا يجلس بجواري بالمقعد الأمامي وتجلسين وحدك بالمقعد الخلفي ونشاركك فعل الخير ولو مرة واحدة في حياتنا.

تبسمت رؤى وشكرته جداً ففتح لها الباب الخلفي للسيارة فدلفت داخلها فأغلق الباب وذهب إلى صديقه أحمد طالباً منه مرافقتهما، فرفض أحمد بشدة قائلاً:

-لن أرافق تلك اللعينة التي ضربتني بمنتصف الشارع وجعلتني موضع سخرية للجميع.

-حامد: هيا أيها الأبله، لقد أتت فرصتنا لنذهب معها ونرى أين تذهب يومياً ونعلم عنها كل شيء ومن ثم نحاول وصل حبال الود معها ربما ينالنا من الحب جانباً

-أحمد: ماذا تقصد؟

-حامد: ستعلم كل شيء لاحقاً فقط أسرع الآن

وخرج حامد مستقلاً سيارته فأغلق أحمد متجره وذهب برفقتهما وحين رأته رؤى خافت وغضبت، فما كان بينهما يوماً سوى العداوة وسوء الظن دائماً ولكنها من أجل سرعة الوصول إلى تيام بأمان تجاهلت كل شيء وتأسفت لأحمد عما بدر منها تجاهه، فأخبرها أنه هو المخطئ بحقها وأنها ما فعلت سوى الصواب وأنه نادم على ما فعل، فسامحته وأعلمته أن الأمر قد انتهى ولا داعي لذكره، ثم توجهت بهم إلى بيت تيام وسألت عم كامل البواب عنه فأخبرها أنه خرج ولا زال لم يعد بعد، حين سمع الصديقان سؤالها عن تيام أخذا يتنمران عليها ويتحدثان عنها بالسوء تاهميها بممارسة الرذيلة معه وأنها تدعي عليهم الشرف والأمانة بينما تذهب إلى تيام يومياً ببيته وأن حارس العقار نفسه يعرفها جيداً من كثرة ترددها هناك، وبعد أن أنهت رؤى حوارها مع عم كامل حيث سألته متى خرج تيام وبرفقة من وهل كان يستقل سيارته أم اصطحبه أحدهم، فعادت إليهم فأخبرتهم أنها

لم تجده فسألها حامد إلى أين المسير فأجابته إلى بيت شقيقته تيا وذهبوا من سيدي جابر إلى الإبراهيمية، حيث بيت تيا وذهبت لبيتها وأخذت تطرق بابها كثيراً فلم يجبها أحد، في ذلك الوقت أخبر حامد أحمد أنها فرصته لينال منها كما أهانته في السابق، لم تعلم رؤى أنه ما رافقها من أجل فعل خير ولكن بهدف التتبع ومحاولة إمساك ذلة عليها يخضعها إليه دائماً بها، رفض أحمد قائلاً:

-هذا فعل جنوني يا حامد فهي برغم إهانتها لنا إلا أنها ابنة الحي الذي نقيم فيه

-حامد: لا تخف فهي لن تخبر أحد كي لا نخبر الناس أنها كانت تأتي يومياً لرجل أعزب مثل تيام وتجلس معه في بيته وحدهما

-أحمد: وماذا ستفعل إذاً؟

-حامد: إننا هنا في الإبراهيمية وسأرتب الأمر وسترى بنفسك ماذا سأفعل هبطت رؤى عائدة إليهم دلفت داخل السيارة فسألوها عن تيام فأخبرتهم أنها لم تجده، فاستأذنها حامد في الذهاب إلى أحد أصدقائه القريبين من هذا المكان لجلب بعض الأشياء التي استعارها منه والعودة سريعاً لاستكمال البحث عن تيام وأنه لن يطيل الحديث معه، فوافقت وكان الوقت قد تأخر كثيراً وخاصة أنه بفصل الشتاء فالناس تلتزم العودة إلى منازلهم مبكراً احتماءً من البرد القارس والأمطار فتوجه حامد نحو منطقة آمبروزو وتحديداً شارع المنارة وصولاً إلى طريق المقابر المخيف فزعت رؤى من

جو الظلام وحلكته وصمت الرفاق وحدته وسوء الأقدار ولعنتها، ولكنه طمأنها وأسرع السير فوجدت نفسها بين المقابر الموجودة بذلك الشارع والتي تحاط بسورين عاليين، ورغم ذلك فإنهما لم يمحوا الرعب والرهبة التي تنتاب قلوب الناس حين يمرون بينهما ليلاً، حتى أجرأ الشباب إذا دعته الظروف لعبور ذلك الطريق ليلاً فما عليه إلا أن يعبره جرياً من شدة الخوف وحينما توقف حامد تعجبت رؤى وسألته:

-لماذا توقفت هنا يا حامد؟ إن المكان مخيف جداً ويجب أن نغادره فوراً

فرد عليها باستهزاء قائلاً:

-وهل يعقل أن نغادر هذا المكان الهادئ سريعاً دون أن نحسن استخدامه؟ إنها فرصتنا يا رؤى

ازداد خوفها وقلقها بشدة حد الجنون وردت عليه قائلة:

-ماذا تقصد يا حامد؟

-حامد: أريد أن أكون بديلاً لتيام هذه الليلة ونفعل سوياً ما جئت لأجله وجعلك تبحثين عنه في كل مكان هكذا بينما من الواضح أنه قد سئم وتهرب منك، وأنا طيب القلب لا يمكن أن أتركك تعودين مخذولة بعد كل هذا العناء

نظرت رؤى نحو أحمد لتستغيث به قائلة:

-عمي أحمد أتسمع ما يقول، أستحلفك بالله أن ترده عن ذلك

وأثناء حديثها وجدت أحمد ينظر إليها ببرود غير مبالٍ لأمرها، ففتحت باب السيارة وحاولت الخروج مسرعة فأمسك بها أحمد من يدها قائلاً:

-وما دُمت شريفة عفيفة فلماذا خرجت من بيتك بمثل هذا الوقت؟ ولم وافقت على مرافقتنا لك؟ سالت دموع رؤى على خديها شلالاً، وتحدثت قائلة:

-اتق الله يا عمي أحمد فأنا مثل ابنتك وما ستفعله معي فسيرد لك فيها فلطمها أحمد على خدها بيده الأخرى وصاح قائلاً:

-وحين أهنتني بمنتصف الشارع ألم تتذكرين حينها أن ابنتي ستعاير بي بسبب هذا الموقف، هبط حامد من السيارة متوجهاً نحوها لحبسها في الداخل حاولت التملص من قبضة أحمد المحكمة عليها فلم تستطع وحين أدركت نية حامد لملاحقتها صفعت أحمد على وجهه بقوة كادت تقتلع عينيه فصاح من شدة الصفعة صارخاً وأمسك بعينيه وهرولت رؤى هرباً منهما وظلت تركض وتصرخ بأعلى صوتها وحامد يلاحقها

مدين

-اقتلني يا حسان فلم يعد شيء يهمني فقد فقدت الشغف بالأشياء بعد عزة ولم أعد أبالي بأي شيء في هذه الحياة، لا أريدها وبدأت أشعر بالرفض الكامل نحوها كما كنت أشعر رفضها لي طوال حياتي، ولكن توخَ الحذر يا صديقي ربما لا زال بالعمر بقية، وحتى رغبتي بالموت لن تقطعها فالروح عزيزة على صاحبها مهما عاندته أو عاندها، وقذف حسان فجأة بصندوق الفريسكا الذي كان بجواره مما أفقد حسان تركيزه لثوانٍ ثم هجم عليه محاولاً ضربه حتى يستطيع أن يستولي على السلاح الذي معه فلحقه حسان بضربة فوق رأسه بقبضة يد المسدس أوقعته أرضاً وجعلت دماءه تسيل متدفقة بغزارة، ثم وقف حسان ووجه السلاح نحو مدين مرة أخرى قائلاً له:

-كيف تجيدون الغدر والخيانة بكل هذه الدرجة؟ أي قلوب تلك التي تكمن بصدوركم أيها الظلمة الملاعين

فرد عليه مدين بصوت ضعيف متوجع قائلاً:

-لم أنقض عليك ولم أرد الحصول على السلاح لقتلك، فأنا كنت سأقتل نفسي بعد أن أخرجك خارج البيت حتى لا تحاكم بتهمة قتلي يا صديقي وسالت دموعه تملأ خديه، ونظر إليه حسان بتوجع مشفق عليه فهو لا

يزال مدين صديق العمر، وحين سالت دموع حسان لأجل صديقه ذهب نحو النافذة وألقى بمفتاح البيت خارجاً ونظر نحو مدين المنبطح أرضاً قائلاً:

-الآن صار مصيرنا واحداً يا من كنت صديق العمر.

وسالت دموع حسان أكثر وأحكم إغلاق جميع نوافذ البيت فاستند مدين بظهره على الحائط يتابعه فدخل حسان المطبخ وفتح أنبوب الغاز وخرج، جلس على المقعد أمام مدين ممسكاً سلاحه بيده

فصاح مدين قائلاً:

-ماذا تفعل يا مجنون؟

-حسان: سنموت سوياً يا صديقي فأنا مثلك أيضاً فقدت الشغف بكل الأشياء حين فقدت الحبيبة واكتملت الخيبات حين خسرتك يا صديق العمر وسأندم ملياً حين أقتلك وسأندم إن تركتك ولكن بالتأكيد أنني لم أعد شخصاً صالحاً لهذه الحياة، فهيا يا صديقي لنرحل سوياً فالحياة لا تفخر بأمثالنا

فحاول مدين النهوض لفتح الباب فأوقفه حسان قائلاً:

-لا تفعل وإلا أطلقت رصاصة واحدة واحترقنا سوياً، فقد بدأ الغاز يتسلل بكل مكان حولنا، فقط دعنا نموت بهدوء....

-وحين اقترب تيام وتيا من بيت مدين شعر تيام بسيل من الرسائل تجتاح هاتفه فتعجب كيف يحدث ذلك وهو قد أغلق الهاتف وفصل عنه شبكة التواصل ففتح الرسائل ليقرأها فوجدها رسائل مصورة بالفيديو فعلم أن

كلمة السر بها أو من أرسلها هو كارتر ففتح ليجد رسائل مصورة صوتاً وصورة فوجد رؤى تصرخ وحيدة بين المقابر ويحاوطها ذئبان بشريان يحاولان انتهاك عرضها وهي تقاومهم بشدة فصرخ قائلاً: رؤى

فسألته تيا: ماذا حدث ليجيبها أن من الواضح أن القدر يستجمع جميع حساباته الصعبة بهذه الليلة وأن رؤى في خطر وكانوا قد وصلوا أمام بيت مدين فهبطت من السيارة وأمرته أن يذهب لإنقاذها وستتولى هي أمر حسان فتركها ورحل مسرعاً كان يقود السيارة بسرعة البرق لا يعلم أين يذهب ولكنه أحس بقوة خفية تلازمه وتقود السيارة بدلاً منه فعلم أنه كارتر حتى وصل عند المقابر ووجد رؤى بينهما مقطعة الثياب طريحة الأرض تبكي وتصرخ حتى كاد أنين صوتها وصراخها يحرك الموتى غضباً وحين توقف عندهم وشعر أحمد وحامد باقتراب شخص غريب متوجهاً نحوهم فرا هاربين فهما يعلمان جيداً أنه لن يفعل كذلك سوى شخص مسلح مستعد لخوض معركة

وصلت تيا لبيت مدين فوجدته مغلقاً وقرعت الباب مرات عدة وسمعت صوت سعال أحدهم وشمت رائحة الغاز القادمة من الداخل فحدثها قلبها بما يحدث فأخذت تصرخ تبكي وتصرخ بشدة منادية باسم حسان فخرج بعض الجيران على صراخها وانهيارها فتوسلت إليهم بكسر باب البيت فعاونوها وكسروا الباب وحين دلفوا بالداخل فزعوا من حدة رائحة الغاز ووجدوا حسان ومدين ملقيين على الأرض غائبين عن الوعي ولكنهما لا

زالا يتنفسان ولا زالا قلبيهما ينبضان بالحياة فعاونها الجيران بحملهما للخارج واستدعاء سيارة الإسعاف، ورافقتهم تيا التي لم تنفك عن الصراخ والبكاء طوال الطريق حتى وصلوا لأقرب مستشفى...

اقترب تيام من رؤى فوجدها تنزف الدماء من فمها مرتعشة الجسد بشدة وتصرخ بهلع شديد وحين اتضحت ملامحه لها من خلال النور المنبعث من سيارته كفت عن الصراخ ولكنها لم تستطع اقتطاع البكاء فذهب نحوها وجلس بجانبها وأسندها لتجلس ويطمئن عليها وحين نظر إليها ووقعت عيناه على ثوبها الممزق سبقت سوء ظنونه قائلة:

-لقد حفظني الله من غدرهم يا تيام

ثم سقطت مغشياً عليها حين أنهت كلمتها فاحتضنها تيام مبتسماً لأنه أدرك أنه يحتضن الحبيبة التي جاءت من الغيب لتبدل حياته التافهة السخيفة إلى مملكة من الحب والأمل والشرف والشهامة والأمانة، ولأنها لا زالت تحتفظ بعذريتها رغم غدر الجبناء

فحملها بين يديه وأدخلها سيارته وانتزع عنه ثوبه ووضعه عليها ليستر ما بدا من جسدها وقام بإفاقتها وحين نظرت إليه باغتها بحنان قائلاً:

-ستصبحين عروساً لي يا رؤى وسنعقد القران غداً، فصمتت لحظات ثم ابتسمت بخجل ونظرت أرضاً فعلم بموافقتها فاقترب منها ففتحت ذراعيها لتضمه فاحتضنها وقبل خدها لأول مرة ثم أغلق باب السيارة واستدار

ليصعد نحو المحرك ويعود برؤى إلى بيتها، فوجد شخصاً على بعد أمتار يراقبه باكياً؛ فأمعن النظر إليه ليتأكد أنه هو وقد كان هو بالفعل كيفن كارتر فتوجه نحوه تيام ثم استرجع الأحداث وسأله قائلاً:

- كيف حال تيا وحسان ومدين؟ أود الاطمئنان عليهم

فأشار إليه كارتر ليتابع الرسائل على هاتفه فوجد رسالة مسجلة صوتاً وصورة لتيا تجلس بالمستشفى بين سريرين أحدهما يحمل حسان والآخر يحمل مدين وقد قام الأطباء بتوصيل أجهزة التنفس الاصطناعي إليهما وتيا تنظر إليهما بشغف ثم قامت بسحب أيديهما نحو بعضهما فنظرا الصديقان وابتسما قاما بتشبيك أصابعهما ببعضها البعض دليلاً على التسامح وعادت بسمة تيا إليها فكادت تكون ملاكاً طفولياً يلازمهما فابتسم تيام حين اطمأن عليهم ثم أغلق هاتفه ونظر نحو كارتر قائلاً:

-أشكرك يا صديقي

-كارتر: أنا راحل يا تيام، لن تراني مجدداً ولتعش حياتك مع رؤى بسلام

فصاح تيام معترضاً:

-أين تذهب وتتركني وأنا هذه المرة من يمد يده نحوك بالسلام ومن يطلب منك المساعدة

فتعجب كارتر من موقفه وأعلمه بذلك قائلاً:

-كنت أعلم أنك تحلم باليوم الذي نحقق فيه هدفنا وبعدها أرحل عنك للأبد وبرغم فشلي في هذا إلا أنني يجب أن أتركك لحياتك ولرؤى ولنجاحك

فأجابه تيام قائلاً:

-أما من ناحية الزواج فسأعقد القران على رؤى وأتركها ببيت أهلها حتى أنهي بعض الأمور وأشعر بالرضا عن نفسي أولاً، ومن ثم أبدأ مشروعي القادم وهو رسالتي في الحياة والذي لا يمكنني تنفيذه دونك فلتمدد يدك إلي يا صديقي وتعدني بالبقاء، فأنا هذه المرة من يحتاج مساعدتك للانتقام من أحمد وحامد وأمثالهم أولاً وهذا أصغر أهدافي أما الهدف الأكبر فهو أنني قررت العمل بمؤهلي كمحرر صحفي وليس كمصور فقط، وسأطلب من رئيس تحرير الجريدة التي أعمل بها تخصيص بابٍ أسبوعي ثابت يتصدى لظاهرة الانتحار وسأكتب عنهم مستحضراً أرواح المنتحرين مثلك يا كارتر، ومثل المهندس نادر والمطربة داليدا وحتى المشتبه بانتحارهم، مثل معشوقتي السندريلا سعاد حسني والنجمة المثيرة مارلين مونرو، سأتحدث حتى يعتاد الناس مؤازرة بعضهم وحتى يتعلم الناس كيف يحتوون من تظهر عليه علامات الاكتئاب قبل أن يقدم على قتل نفسه وسأطالب ببرامج تدعم الطب النفسي وتدعم انتشاره في كل مكان ووضع قوانين لمحاكمة المتنمرين على المرضى النفسيين ولمحاكمة تاهميهم بالجنون سأتحدث عن نظرة المهندس نادر حين سقوطه من أعلى البرج، سأتحدث

عن الجميع، وأبحث عن حق المقتولين غدراً مثل عزة وعن المظلومين الذين لا يعلم عنهم أحد شيئاً وسأحاور أرواحهم وأخصص لكل شخص منهم عدة حلقات حتى يكتشف أمره كاملاً، وحتى يزاح الغموض وينكشف الفساد

نبيل عبدالرحمن

تمت بحمدالله

جحيم كارتر

رواية

نبيل عبد الرحمن

الطبعة الأولى
1442 هـ 2020 م
دار ديوان العرب للنشر والتوزيع
مصر – بورسعيد
جوال: 00201211132879

E-mail: mohamedhamdy217217@gmail.com